مجلة مركز بحوث ودراسات

المدينة المنورة

العددان الرابع عشر والخامس عشر/ رجب - ذو الحجة ١٤٢٦هـ / أغسطس ٢٠٠٥ - يناير ٢٠٠٦م

١٤
١٥

- بيرتون وصورة المدينة في رحلته
- أثر الأوقاف على الحياة الثقافية والاقتصادية في المدينة المنورة في العصر المملوكي
- أثر درجة الحرارة على استهلاك الكهرباء في المدينة المنورة
- من النباتات الطبية في المدينة المنورة : شجرة الأراك

منهجية المؤرخين المسلمين في رؤية المستشرقين

د. محمد عامر عبد الحميد مظاهري

باحث في هيئة الإغاثة الإسلامية بالمدينة المنورة

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فمما لا شك فيه أنّ علم التأريخ قد وجد تربةً خصبةً عند المسلمين منذ بداية الإسلام ، وكيف لا ! وقد قصّ الله تعالى عليهم عدداً من القصص التي تحكي أخبار الأمم البشرية في القرون الغابرة ، ولكن قلّما كلّف المسلمون في العصر الحديث أنفسهم عناء البحث والتحقيق في هذا الجانب ، كما لم يقم أحدٌ منهم بالبحث في المنهجية العلمية الشاملة في التأريخ عند علماء التاريخ من المسلمين ، فاكتفى عددٌ منهم بتناول مناهج بعض علماء التاريخ من المسلمين في عصور متفرقة من غير التشمير عن ساعد الجِدّ للقيام ببحثٍ يُبرز جهود علماء المسلمين في التأريخ ، ويقوّم هذه الجهود تقويماً موضوعياً ، للخروج بصورةٍ واضحةٍ عن هذه الجهود وللإجابة عن تساؤل يطرح نفسه : هل كان علماء التاريخ من المسلمين يسيرون في تأريخهم على منهجية واضحة ؟ وهل كانت هذه المنهجية منهجيةً علميةً تضاهي مقاييس المنهجية العلمية المعاصرة في البحث العلمي ؟

ومن جانبٍ آخر ، لم يستطع المسلمون في العصر الحديث من إنتاج (موسوعة إسلامية) تسجّل جميع - أو معظم - المعارف المتعلقة بالإسلام والمسلمين ، ومن بينها المعلومات المتصلة بعلم التأريخ عند المسلمين ، وذلك على

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الرغم من توفّر الإمكانات العلمية والمادية لديهم[١]، فقد افتقدوا إلى الهمّة العالية والتنظيم والتعاون نتيجة تشتّتهم إلى نطاقات جغرافية وسياسية واجتماعية ، بينما قام بهذا العمل العلمي المطلوب مجموعة من علماء الغرب المعنيين بمعارف الشرق ، وهم الذين يُعرفون باسم (المستشرقين) ، ومهما كانت أغراض هؤلاء العلماء الغربيين من إنتاج ما أسمَوه (دائرة المعارف الإسلامية)[٢] ، ومهما كانت هذه المعلومات التي قدّموها قابلةً للنقد والتصحيح ؛ فإنّه ليس بمقدور أيّ مُنصِف أن يسلُبها قيمتها العلمية بصفتها خدمةً لا بأس بها لعلوم ومعارف المسلمين .

وقد اعتمد الباحث على ما تناولته هذه الموسوعة - في طبعتيها الأولى والثانية - وما كتبه مستشرقون آخرون في أبحاث مستقلة من معلومات علمية عن التأريخ عند المسلمين ، وذلك للخروج بدراسة عن المنهجية العامة للتأريخ عند المسلمين منذ أقدم العصور ، غير أنّه لم يقبل آراء المستشرقين ومعلوماتهم من غير نقد أو تمحيص في ضوء ما جاء في بعض المصادر الإسلامية عن ملامح علم

---

(١) فجميع الموسوعات الصادرة عن الجهات الإسلامية ذات الطابع المعرفي العام ؛ إنّما تعتمد في أصولها على دوائر المعارف التي أنتجها علماء الغرب ، غير أن بعض مقالاتها وموضوعاتها قد تمّ مراجعتها من قبل لجان مكونة من المسلمين ، أو قام بعض المسلمون بإعادة الكتابة لبعض موضوعاتها ، وهي قليلة .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية هي ترجمة عربية لعنوان مؤلَّف هو باللغة الإنجليزية كالتالي Encyclopaedia of Islam ، وهو يحتوي على مقالات تتعلق بجميع أنواع المعارف الإسلامية بأقلام كبار العلماء الغربيين المعنيين بالعلوم والمعارف الإسلامية ، وقد أتت فكرة هذا العمل عند المستشرقين من خلال مناقشاتهم لأفضل السُبل المؤدّية إلى التعريف بالإسلام والمسلمين - وفق نظرتهم - تعريفاً شاملاً ، وذلك في لقاءٍ لكبار المستشرقين عام ١٨٩٥م ، وترأس تحرير هذه الدائرة هوتسما Houtsma ، ثم ونسنك Wensinck منذ عام ١٩٢٤م ، وتولّت نشرها دار بريل الهولندية E. J. Brill ، وجُمعت ميزانيتها من المجامع العلمية الأوربية ، وقد صدر المجلّد الأول منها في ١٩٠٨م ، واستمرّ الإصدار حتى اكتمل في عام ١٩٣٨م في أربعة مجلدات ضخمة وملحق يزيد عدد صفحات كلّ مجلد عن ألف صفحة على عمودين من القطع المتوسط ، وأمّا طبعتها الثانية التي لم تكتمل بعد ؛ فقد بدأت فكرتها بعد الحرب العالمية الثانية ، عندما بات من الضروري تغيير أسلوب وفحوى كثير من المعلومات الواردة في الطبعة الأولى ممّا لم يعد يتفق ومتطلّبات الاستشراق المعاصر ، فبدأ العمل ثانيةً من أجل إصدار طبعة جديدة مزيدة منقحة ، وفي ١٩٥٦م تمّ اختيار شاخت Schacht لإدارة تحرير الطبعة الجديدة وتولّت دار بريل Brill أيضاً نشرها فصدر المجلد الأول منها عام ١٩٦٠م تحت مسمّى (دائرة المعارف الإسلامية الجديدة) The New Encyclopaedia of Islam، وهذه الطبعة يتوقع لها أن تخرج في عشر مجلدات ضخمة تزيد صفحات كلّ مجلد على ألفي صفحة على عمودين من القطع المتوسط ، كما تتميز أيضاً بمشاركة عددٍ كبيرٍ من أساتذة الجامعات المسلمين في تحرير مقالاتها ، ولكنّها بذلك فقدت أصالتها الاستشراقية التي تمتّعت بها الطبعة الأولى والتي حرّر مقالاتها أئمة الاستشراق ، ومثّلت كتاباتهم مناهج استشراقية متوارثة خير تمثيل .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

التأريخ عند المسلمين ، وما توصّلت إليه بعض الأبحاث التي قام بها المسلمون في العصر الحديث ، كما أنّه يودّ التنبيه إلى أنّ المستشرقين - وإن كانوا قد كتبوا عن معظم المؤرخين المسلمين ومناهجهم - إلاّ أنّ تناولهم لمناهج الكتابة التاريخية عند المسلمين لم يكن تناولاً صريحاً واضحاً ، ولكنّ استقراء ذلك من كتاباتهم تطلّب من الباحث الكثير من العناء والجهد ، فقد كتب عددٌ كبيرٌ من المستشرقين في دائرة المعارف الإسلامية حول التاريخ الإسلامي[١] والمؤرخين المسلمين ومؤلفاتهم التاريخية[٢] ، وكلٌّ عبّر بما يكشف عن وجهة نظره الشخصية وقدراته العلمية وملكة النقد والتحقيق لديه ، وبدراسة كافة المواد المتعلّقة بالتاريخ الإسلامي في دائرة المعارف الإسلامية وغيرها من كتابات المستشرقين المستقلة - دراسةً منهجيةً - ؛ أمكن تكوين تصوّرٍ عامٍ عن آراء هؤلاء المستشرقين حول مدى التزام المؤرخين المسلمين بالمنهجية العلمية في كتاباتهم التاريخية .

وبما أنّ المستشرقين لم يتفقوا أصلاً على وجود شيء يمكن تسميته بالمنهجية الإسلامية في البحث التاريخي ، فضلاً عن محاولة رصد أو رسم ملامح هذه المنهجية اللهم إلاّ محاولة المستشرق روزنثال Rosenthal[٣] القيّمة[٤] ؛ فلا يسع الباحث في هذا المقام إلاّ محاولة استقراء المناهج العلمية في البحث التاريخي

---

(١) ويعني الباحث بالمقالات التي كُتبت حول التاريخ الإسلامي : المقالات التي عالجت فنّ التأريخ عند المسلمين ، ولا يعني المقالات المتناولة للأحداث التاريخية ، فهي كثيرةٌ جداً .

(٢) لقد بلغ عدد المستشرقين الذين كتبوا حول هذه الموضوعات في دائرة المعارف الإسلامية في طبعتيها (الأولى والثانية) حوالي ٧٠ مستشرق ومستشرقة ، كما بلغ عدد المقالات حوالي ١٩٠ مقالاً .

(٣) هو : فرانز روزنثال Franz R. ، مستشرق أمريكي من أصل ألماني ، ولد في برلين Berlin عام ١٩١٤م وتخرج في جامعتها في ١٩٣٥ ثم هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية U.S.A. في ١٩٤٠ وعمل أستاذاً للغات السامية في كلية الاتحاد العبري ، ثم في جامعة بنسلفينيا University of Pennsylvania ثم في جامعة ييل Yale University ، اهتمّ بالشرق الأدنى في دراساته العديدة كما زار تركيا وبعض البلاد العربية . انظر : فرانز روزنثال ، مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي ، ترجمة : أنيس فريحة ، بيروت : الدار العربية للكتاب ، ط٤ : ١٩٨٣ ، ص٧ (بقلم المترجم أنيس فريحة) .

(٤) فقد قام المستشرق فرانز روزنثال F. Rosenthal بتقرير المنهجية الإسلامية في البحث التاريخي ، ورسم ملامح هذه المنهجية في كتابَيه : ١ - عِلم التاريخ عند المسلمين History of Muslim Historiography ، ٢ - مناهج العلماء المسلمين في البحث العِلمي .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

التي أشار إليها كلّ مستشرق فيما كتبه حول موضوع تاريخي إسلامي ورأى أنّ أحداً من المؤرخين المسلمين أو عامة المؤرخين المسلمين قد استعملها في كتابته ، ومن ثمّ يمكن تكوين ملامح المنهجية التاريخية التي يرى المستشرقون أنّ المؤرخين المسلمين قد ساروا عليها أو خرجوا عنها في كتاباتهم التاريخية .

وبعد أن استطاع الباحث رصد هذه المناهج التي أشار إليها المستشرقون في مقالاتهم في دائرة المعارف الإسلامية ، وتحليلها وتصنيفها ؛ تبيّن أنّها علميّة الطابع في غالبها ، وأنّ الفحوى العام لآراء المستشرقين الكثيرة – والمتباينة أحياناً – هي : سَير المؤرخين المسلمين على منهجيةٍ علميةٍ ، وإن لم تكن محددة المعالم لديهم ، وقد عبّر كثيرٌ من المستشرقين[1] عن إعجابهم بكثيرٍ من المؤرخين المسلمين لالتزامهم بمنهجية علمية معيّنة أثناء تعريفهم بهم في مختلف المقالات[2] .

وسوف يقوم الباحث باستعراض هذه المناهج المستنبَطة مع التعليق عليها ومناقشتها في فصلَين ، ويحاول تصنيف هذه المناهج حسب الأركان الأربعة التي يتكون منها البحث العلمي التاريخي الحديث .

إيجابيات منهج المؤرخين المسلمين في رؤية المستشرقين

إنّ أهم الأركان التي يتكون منها البحث العلمي أربعة ؛ هي:

(١) ويُلاحظ في هذا الصدد :
أنّ أكثر المستشرقين اعتناءً بموضوع التزام المؤرخين المسلمين بالمنهجية العلمية في كتاباتهم هم :
- المستشرق هوروفيتس Horovitz
- المستشرق كارل بروكلمان C. Brockelmann
- المستشرق فرانز روزنثال F. Rosenthal

ونلاحظ كذلك أنّ هؤلاء الثلاثة لهم باعٌ طويلٌ في الكتابة حول التراث الإسلامي وخاصةً التاريخ ، كما أنّ كتاباتهم يمكن وصفها بأنّها أكثر الكتابات الاستشراقية اعتدالاً أو واقعية ، أو أنّها أقلها تحاملا .
وتجدر ملاحظة هذا التوافق بين كثرة الاشتغال بأمر التاريخ الإسلامي وبين الاقتراب من الصحة في الحكم ، إذ أنّ هذا التوافق يدلّ على ما أشار إليه المستشرق روزنثال Rosenthal من وجود تشويهٍ متعمّدٍ وغير متعمّدٍ لصورة التراث الإسلامي في الكتابات الغربية [انظر : مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي ، ص١٨،١٩] ، فهذا التشويه جعل قليلي الاشتغال بالتراث الإسلامي متمسّكين بالفكرة العامة السائدة في الغرب المبنية على تلك الصورة المشوهة ، أمّا الذين كسبوا باعاً جيداً في دراسة التراث الإسلامي ووقفوا على مصادر إسلامية في صورتها الأصلية تتغيّر لديه الفكرة السائدة تدريجياً إلى الاقتراب من الحقيقة على الرغم من تأثرها بمؤثراتٍ عقديةٍ وعنصريةٍ واجتماعية .

(٢) انظر على سبيل المثال :
Encyclopaedia of Islam (first edition) : H. Beveridge, Khwandamir, vol.IV, p. 899–900 ; F. Babenger, Selaniki, vol.VII , p. 207 ; Blachere, Al-Tulaitili, vol.VIII , p. 831 ; Brockelmann, Al-Kalkashandi, vol.IV , p. 699–700 ; Bartold, Gardizi, vol.III , p. 130–131 ; Kraimars, Munadjdjim Bashi, vol.VI , p. 722 ; E. Berthels, Nizami Hasan, vol.VI , p. 939 ; F. Babenjer, Naima, vol.VI , p. 839 ; & Encyclopaedia of Islam (new edition) : Nalino , Abu ‘l Faradj al Isbahani , vol.I , p. 118 ; Rosenthal, Al-Azdi, vol.I , p. 813 .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

أولاً : **اختيار موضوع البحث أو الدراسة .**
ثانياً : **جمع المادة العلمية للبحث .**
ثالثاً : **تأليف المادة العلمية أو عرضها .**
رابعاً : **التوثيق العلمي .**

والبحث التاريخي الحديث لا يخرج أيضاً في مجمله عن هذه الأركان الأربعة ، ولذلك سيتمّ تصنيف المناهج المستخلصة من كتابات المستشرقين عن أشهر المؤرّخين المسلمين حسب هذه الأركان الأربعة .

أولاً : اختيار موضوع البحث أو الدراسة :

يرى المستشرقون أنّ المؤرخين المسلمين كانوا يختارون موضوع الدراسة التاريخية بدافعٍ ذاتيٍّ أحياناً ، وبدافعٍ خارجيٍّ أحيانا أخرى ، وأنّ اختيار الموضوع بدافعٍ ذاتيٍّ كان الأكثر وقوعاً .

والدوافع الذاتية في رأي المستشرقين كثيرةٌ ، منها :

١- أن يُقْبل المؤرخ على كتابة الموضوع التاريخي المتعلّق بشخصيةٍ مسلمةٍ بارزةٍ حُبّاً في تخليد ذِكراها[١] ، وهو ما حصل في بداية أمر الكتابة التاريخية عندما أقبل المسلمون على كتابة السيرة النبوية حُبّاً في تخليد ذِكرى الرسول صلى الله عليه وسلم ، إلاّ أنّ المستشرقين رأوا فيما يخصّ أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أنّ دافع حُبّ تخليد الذِكرى كان مقترناً بدافع تقليد الأمم والديانات الأخرى السابقة[٢] .

والباحث لا ينكر أنّ تدوين السيرة المطهرة كان من دوافعه تخليد ذكرى الرسول صلى الله عليه وسلم[٣] ، ولكنّه يستبعد اقتران هذا الدافع برغبة تقليد الأمم أو الديانات الأخرى ، إذ لم يكن المسلمون في حاجةٍ إلى هذا التقليد وهم

---

(١) انظر :
E.J.BRILL, The Encyclopaedia of Islam (First edition), Leiden, 1931 : Levi Della, Sira, VII/ 440 ; H. Gibb, Tarikh, IX/ 233–234

(٢) انظر : Levi Della, Sira,VII/44 Encyclopaedia of Islam (First edition): ، وقد قال بهذا الرأي مستشرقون من أمثال : شبرنجر Sprenger ونويلديكه Noldeke في كتابهما ((سيرة محمد)) [قلتُ : صلى الله عليه وسلم] المنشور في برلين Berlin عام١٨٦١م ، وتبنّاه ليفي دالاّ Levi Della في دائرة المعارف الإسلامية .

(٣) فقد قال الله تعالى : (**لقد كان لكم في رسول الله أسوةٌ حسنةٌ** ...) [الأحزاب : ٢١] ، ولكي تتخذ الأجيال القادمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة كان يجب على الأجيال الأولى أن تخلّد ذكراه بتسجيل كلّ ما يتعلق به عليه الصلاة والسلام .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

يعلمون أنّ ما في كتب الديانات السابقة التي اطّلعوا عليها من قصص أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام ، هي في جُلّها قصصٌ مشوبةٌ بالخرافة والزيف لا تهدف إلى تخليد ذكرى هؤلاء الأنبياء بل تهدف إلى تشويه سيرهم الطاهرة خدمةً لأغراض أتباعهم الشخصية[١] ، هذا فيما يتعلّق باليهودية والنصرانية .

وأمّا فيما يتعلّق بأمر الأمم الأخرى فلم يتيسّر لمؤرخي الإسلام في عهد بداية كتابة السيرة المطهرة الاطلاع على (شاهنامه) الفُرس ولا سِيَر ملوك اليونان والرومان ، وذلك لأنّ مهد كتابة السيرة المطهرة كانت المدينة المنورة التي كانت في منآى عن جميع هذه المعلومات الجديدة في تلك الفترة ، وهذا الأمر وإن خفي على ليفي دالاّ Levi Della [٢] ، فإنّه لم يخف على هملتون جِب H. Gibb [٣] الذي دافع عن رأيه في أنّ كتابة السيرة (فكرةٌ عربيةٌ خالصةٌ متصلةٌ بضوابط علم الحديث العربي الصحيح)[٤] .

٢- الإحساس بالانتماء إلى إحدى الفِرَق الدينية الإسلامية[٥] أو إقليم جغرافي[٦] ، والرغبة في تسجيل مآثر هذه الفِرقة أو هذا الإقليم .

---

(١) فقد أطلعهم القرآن الكريم على ما في التوراة والكتب النصرانية من التحريف والتبديل ، ونسبة الشرّ إلى الأنبياء ، ومن هذه الآيات قوله تعالى المبينة لنسبة الشر إلى موسى عليه السلام : **(يا أيها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين آذوا موسى فبرّأه الله ممّا قالوا ...)** [الأحزاب : ٦٩] ، وقوله تعالى المبينة لنسبة الشر إلى مريم عليها السلام : **(ويكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً)** [النساء : ١٥٦] ، وقوله تعالى المبينة لنسبة الشر إلى عيسى عليه السلام : **(لقد كفر الذين قالوا إنّ الله هو المسيح بن مريم ...)** [المائدة : ٧٢] .

(٢) هو جورجيو ليفي دالاّ فيدا Giorgio L. D. Vida ، مستشرق إيطالي وُلد عام ١٨٨٦م في أسرة يهودية ، تخرج في جامعة روما Roma وعُين فيها أستاذاً للغات السامية في ١٩٢٠م ، وانتُخب عضواً في المجمع الملكي الأسباني للتاريخ في ١٩٤٣م ، وصنّف المستشرقون كتاباً في الساميات تكريماً له واحتفالاً ببلوغه السبعين من العمر ، كما عمل فترة في مكتبة الفاتيكان Vatican لفهرسة مخطوطاتها الإسلامية ، وافته منيته في ١٩٦٧م . انظر : نجيب العقيقي، المستشرقون ، القاهرة : دار المعارف ، ط٤ : ١٩٨٠ ، ١/٤٤٠ .

(٣) هو : Hamilton Gibb مستشرق إنجليزي ، ولد عام ١٨٩٥م ، وحصل على الماجستير من جامعة لندن London عام ١٩٢٢م وخلف توماس آرنولد Thomas Arnold على كرسي اللغة العربية فيها ، وفي عام ١٩٥٥ أصبح أستاذاً للعربية في جامعة هارفرد Harverd بأمريكا ، وتوفي عام ١٩٧١ . انظر : المستشرقون ، ١٢٩/٢ .

(4) Encyclopaedia of Islam (First edition) : H. Gibb, Tarikh, IX/ 233.

(5) **Ibid** : Tarikh, IX/234 ; Marcais, Al-Khatib Al-Baghdadi, IV/929–930 ; & **Ibid**, (new edition) : Pedersen, Abu Nuaym Al-Isfahani, I/ 142–143 ; Lewicki, Al-Dardjini, II/140–141.

(6) **Ibid** (first edition) : Brockelmann, Abul-Mahasin (Ibn Taghri Bardi), I/ 99 ; Levi

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ويرى الباحث أنّ هذا الدافع يتمثّل في الكتابات التاريخية حول التراجم الخاصة بالفِرَق الدينية وحول فتوح بلدانٍ مخصوصةٍ أو تواريخ مدنٍ مخصوصةٍ[١].

٣- الرغبة في تكملة كُتبٍ تاريخيةٍ سابقةٍ ابتداءً من النقطة التي توقّف عندها مؤلّفوها ، بحيث يستغني المؤلّف الجديد عن إعادة الكتابة حول المعلومات التي كتب عنها المؤلّف السابق .

وقد وجد الباحث أنّ هذا النوع من الدوافع الذاتية يمكن تلمّسه بصورةٍ ملفتةٍ عند مؤرّخي الدولة العثمانية ، حيث طال عهدها وكان المؤرّخ يجد من السهل تكملة تاريخٍ تناولَ سِيَر بعض الخلفاء حتى وفاة صاحب ذلك التاريخ ، ولأنّ مصادر المعلومات تكاد لا تختلف عند المتأخّر عن مصادر المتقدّم فيما يتعلّق بالفترة التي كتب عنها المتقدّم ، فيجد المتأخّر معلوماتٍ جديدةٍ ومتنوّعةٍ عن الفترة التي لم يكتب عنها المتقدّم ، فيدفعه ذلك إلى إكمال الجهد السابق بجهدٍ جديدٍ يبرّز فيه شخصيته في التأليف ، بدلاً من تضييع الوقت في صياغة المعلومات القديمة نفسها بعباراتٍ أخرى[٢] .

كما وُجِد هذا النوع من الكتابة التاريخية أيضاً عند الأبناء الذين وجدوا كُتب آبائهم غير كاملة سواءً كان هذا النقص حاصلاً نتيجة وفاة الأب قبل إكمال كتابه حسب خطته التي رسمها سلفاً أم كان النقص ناتجاً عن ظهور أحداثٍ جديدةٍ بعد وفاة الأب تستحقّ إلحاق ذكرها بما كتبه من قبل ، ونجد

Prorengal, Al-Razi(2) Ahmed bin Mohammed bin Musa, VI/ 1136–1137 ; & **Ibid** (new edition) : Lewicki, Al-Dardjini, II/ 140–141 ; P. Hardi, Firishta, II/ 921–923.

(١) والجدير بالملاحظة في هذا المقام أنه ليس كل مَن كتب من المسلمين عن فرقة أو مذهب أو إقليم جغرافي ؛ كان منتمياً إلى تلك الفرقة وذاك الإقليم ، فقد أرخ البيروني في كتابه (الآثار الباقية عن القرون الخالية) عن الأديان في الهند ، ولم يكن هندوسياً ولا هندياً ، كما ألف شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره مصنفات في بيان عقائد الفرق الضالة ، ولم يكونوا منهم بل كانوا من أئمة أهل السنة والجماعة .

(٢) انظر على سبيل المثال :

Encyclopaedia of Islam, (first edition) : F. Babenger, Rashid Mehmed, VI/ 1122 ; Th. Menzel, Othman-zade, VI/ 1013–1014 ; Th. Menzel, Muhyi 'l-din Muhammed, VI/ 703 ; & **Ibid**, (new edition) : Walsh, Ata'i, I/ 732–733.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

مثال ذلك عند المؤرخ عيسى بن أحمد الرازي[١] (القرن الرابع الهجري) الذي أكمل كتاب (تاريخ ملوك الأندلس) لوالده (٢٧٤ - ٣٤٤هـ) إلى عهده ، مضيفاً إلى ما كتبه والده عن العصور المتقدمة أيضاً مستعيناً في ذلك بمصادر لم يتمكّن والده من الوصول إليها[٢] .

وعلى كلٍّ فقد شاع هذا النوع من الكتابة التاريخية عند مَن لم تربطهم ببعضهم البعض روابط قرابة وأكمل المتأخّر ما كتبه المتقدّم ، فمثلاً نجد المؤرخ محمد الفرغاني[٣] (٢٨٢-٣٦٢هـ) قد أكمل تاريخ ابن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠هـ)[٤] في كتاب أسماه (الصِّلة) أو (المُذَيَّل)[٥] ، ولعلّ من الجدير بالإشارة إلى أنّ هذا المنهج في كتابة التاريخ قد عرفته بعض الأمم السابقة على الإسلام أيضاً كاليونان والرومان[٦] .

---

(١) هو : عيسى بن أحمد بن محمد الأندلسي ، ألّف - بالإضافة إلى تكملة كتاب أبيه - كتاباً باسم (كتاب الحجاب للخلفاء بالأندلس) ، وقد أكثر كلّ من ابن حيان وابن سعيد وابن الأبار من الإشارة إلى كتابيه . المقري ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق : إحسان عباس ، بيروت : دار صادر : ١٩٦٨ ، ٦٧١/٢ .

(٢) انظر على سبيل المثال :

Encyclopaedia of Islam (first edition): Levi Prorengal, Al-Razi(3) Esa Ahmad, VI 1136–1137.

(٣) هو : أبو محمد عبد الله بن أحمد بن جعفر ، من بلاد فرغانه في آسيا الوسطى ، تتلمذ على الطبري في العراق وروى عنه كتابه ، رحل إلى مصر واستقر بها . ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، بيروت : دار الفكر ، ١٦١/١ .

(٤) هو : محمد بن جرير بن يزيد الآملي الطبري البغدادي ، ولد في مدينة آمُل بطبرستان عام ٢٢٤هـ ، رحل في طلب العلم صغيراً فجاب بلاداً كثيرة حتى استقرّ في بغداد ، وكان عالماً بالقراءات والسنن واللغة والتاريخ ، من أبرز مؤلّفاته : جامع البيان في تفسير القرآن ، وتاريخ الرسل والملوك المعروف بتاريخ الطبري ، توفي في بغداد في ٣١٠هـ . الخطيب البغدادي ، القاهرة : مطبعة السعادة ، ط : ١٩٣١ ، ١٦٢/٢- ١٦٣ .

(5) Encyclopaedia of Islam (new edition) : F. Rosenthal, Al-Farghani, II/ 793 ,

وانظر على سبيل المثال :

Ibid (first edition) : M. Plessner, Ibn Shakir Al-Kutubi, IV/ 1172 ; Cl. Huart, Abd al-Fttah Fumani, I/ 37 ; Cl. Huart, Wassaf, VIII/ 1133 ; & **Ibid** (new edition): F. Rosenthal, Al-Fasi, II/ 828–829 ; F. Rosenthal, Al-Farghani, II/ 793

(٦) طالع عن : تاريخ ثيوسيديدس Thucydides (٤٦٠- ٤٠٠ق.م) اليوناني الذي أكمل تاريخ سلفه هيرودوتس Herodotus ؛ وتاريخ كزنوفون Xenophon (٤٣١- ٣٥٠ق.م) الذي أكمل تاريخ ثيوسيديدس الآنف الذكر ؛ وتاريخ اميانوس مارسيلينس Ammianus Marcellinus الروماني الذي أكمل تاريخ سلفه تاسيتوس Tacitus . انظر : تاريخ الأدب الغربي ، نخبة من الأساتذة ، دمشق : دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، ٤٤،٧٣/١ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

٤- الرغبة الخالصة في نشر العلم والمعارف ، وهذه الرغبة هي ما يعبّر عنها أحد المستشرقين عند تعريفه بمؤرخ مسلمٍ ، فقال : (وقد حاول أن يجعل اللغة والشعر . . وكذلك الأخبار في متناول الذين يعملون في الحياة العامة ويرغبون في التعلم . .)[١] .

ولعلّ هذا هو أسمى غايات تدوين العلم والمعارف عند المسلمين ، فقد حرص المسلمون بمن فيهم المؤرّخون على نشر العلم وعدم كتمانه ، وذلك لأنهم اعتبروا هذا العمل واجباً دينياً سيُسألون عنه إن هم تقاعسوا عن نشر ما تعلّموه[٢].

وأمّا الدوافع الخارجية التي أدّت بالمؤرخين المسلمين إلى اختيار موضوعٍ مّا للدراسة التاريخية - في نظر المستشرقين - فهي لا تخرج عن أمرين :

١ - أن يأمر أحد الحُكّام المسلمين مؤرخاً من بلاطه بتسجيل تاريخ دولته أو أسرته ، فيقوم ذلك المؤرخ بتأليف كتابه في الموضوع المطروح[٣] .

٢ - أن يشجّع المؤرخَ أحدُ المقرّبين إليه ليقوم بالتأليف حول موضوعٍ مّا ، فيلبّي المؤرخ تشجيعه ويؤلف في الموضوع المقترح[٤] .

والأمر الذي لاحظه الباحث أنّه لم يكن يوكل بمهمّة التأريخ حول نقطةٍ معيّنةٍ إلاّ إلى مؤرخٍ اشتهر في عصره بسعة العلم والتضلّع في الموضوع[٥] ، كما أنّ

---

(1) Encyclopaedia of Islam, Brockilmann, Ibn Kutayba, III/ 399 .

(٢) والآثار متواترة في التحذير من كتم العلم ، وفي الحث على نشره ، ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : (من سئل عن علم فكتمه أُلجِم بلجام من نار يوم القيامة) ، رواه الإمام أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً . انظر : المسند ، القاهرة : مؤسسة قرطبة ، ٢٦٣/٢ .

(3) Encyclopaedia of Islam (first edition) : J. Pedersen, Ibn Dukmak, III/ 374 ; F. Krenkow, Al-Sabi (Ebraheem), VII/ 19–20 ; F. Babenger, Kemal-Pasha-Zade, IV/ 851–852 ; Henry Mase, Mahdi Khan, V/ 117 ; & **Ibid** (new edition) : Menagl, Bidlisi (Edris), I/ 1207–1208 .

(4) **Ibid** (first edition) : V. Arendonk, Ibn Khordadhbeh, III/ 398 ; F. Krenkow, Al-Samhudi, VII/ 134–135 ; W. Bjorkman, Muhammad Zaim, VI/ 696–697 .

(٥) انظر على سبيل المثال :

Encyclopaedia of Islam, (first edition) : Krenkow, Al-Sabi (Ebraheem), VII/19–20 ; Berthels, Nimatullah Harawi, VI/922 ; Babenger, Naima, VI/ 839 ; & **Ibid**, (new edition) : P. Hardy, Firishta, II/ 921–923.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

أنّ الدولة العثمانية كانت قد أحدثت وظيفةً للتأريخ عنها ، تعيِّن فيها مؤرخين متضلّعين[١] .

إذن لم يكن أمر اختيار موضوع التأليف التاريخي لدى المؤرخين المسلمين أمراً اعتباطياً ولم يكن خاضعاً لمحض الرغبة غير المستندة إلى مؤهلات ، وقد أدرك المستشرقون هذا الأمر إدراكاً جيداً ، ولذلك خلت كتاباتهم في دائرة المعارف الإسلامية خلوّاً تامّاً من أيّ إشارةٍ إلى عدم أهلّية أيّ مؤرخٍ إسلاميٍ للموضوع الذي كتب فيه على الرغم من توجيههم النقد إلى بعضهم في نقاطٍ معينةٍ أحياناً .

ثانياً : جمع المادة العلمية للبحث :

لقد رأى المستشرقون أنّ المؤرخين المسلمين بذلوا اهتماماً كبيراً فيما يخصّ عملية جمع المادة العلمية الضرورية للقيام بالتأليف التاريخي حول موضوعٍ تمّ اختياره ، فعدّد هؤلاء المستشرقون سُبُلاً سلكها المؤرخون المسلمون لجمع المادة العلمية ، وهذه السبُل هي بمثابة مناهج كان يتّبعها هؤلاء المؤرخون ، وذلك لشيوعها فيما بينهم وكثرة اتباعهم لها ، وفيما يلي بيان هذه المناهج :

١ - الرحلة في طَلَب العِلم :

رأى عددٌ كبيرٌ من المستشرقين شيوع هذا المنهج لدى المؤرخين المسلمين من أجل جمع المادة العلمية التي يُمكن الاعتماد عليها في تأليف موضوعٍ تاريخيٍ قد تمّ اختياره[٢] ، فقد ذكروا أثناء تعريفهم بالمؤرخين المسلمين رحلاتهم إلى

---

(١) انظر على سبيل المثال :

Ibid (first edition) : Cl. Huart, Celebi Zade, II/ 833 ؛ F. Babenger, Rashid Mehmed, VI/ 1122 ؛ Shafik Efendi, VII/ 343–344 ؛ Cl. Huart, Abdi , I/ 68 ؛F. Babengar, Naima, VI/ 839 ; & **Ibid** (new edition) : Menagl, Bidlisi (Edrees), II/ 1207–1208 .

(2) Encyclopaedia of Islam (first edition) : Paret, al-Tabari, VII/578 ؛ Van Arendonk, Ibn Hadjar, III/379 ؛ Becker, al-Balathuri, II/ 611 ؛ Griffini, Ibn Abi l-Ridjal, III/356–357 ؛ Alferd Bel, Ibn Khaldun, III/395؛ Levi Provencal, Al-Makkari, V/173-174 ؛ Brockelmann, Al-Yakubi, VIII / 1152–1153 ; & **Ibid** (new edition) : De. Somogyi, Al-Dhahabi, II/ 214–216؛ Rosenthal, Al-Fasi, II / 828–829؛ P. Hardy, Firishta, II/ 921–923.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المدن التي اشتهرت بالعلم والأدب على عهدهم[١] ، كما ذكروا تتلمذ بعضهم على أعلام المؤرخين الذين كانوا يقطنون ديارا بعيدةً عن بلاد التلميذ[٢] ، أو جمع معلوماتٍ لا توجد إلاّ بها[٣] .، ومن الجدير بالذكر أنّنا قلّما نجد في المؤرخين المسلمين في القرون العشرة الأولى مَن لم يشدّ الرحال لطلب العلم .

٢- التنويع في مصادر المعلومات وانتقاء الأهمّ والأصحّ :

فقد رأى المستشرقون أنّ من منهج المؤرخين المسلمين عدم الاقتناع بنوعٍ واحدٍ من المصادر المغذّية لمعلوماتهم حول الموضوع الذي يبحثون فيه ، فأشاروا فيما كتبوه في دائرة المعارف الإسلامية إلى :

- اعتماد المؤرخين المسلمين على الروايات الشفهية الموثّقة بالسنَد[٤] ، وذلك في بداية عهد التأليف التاريخي خاصّةً ، وإلى زمنٍ ليس بالقصير ، وهذا المنهج يمكن استخلاصه من خلال تعبيرات المستشرقين المختلفة ، مثل قول أحدهم عن المؤرخ الطبري : (واستند في جمع مادة تاريخية إلى الروايات غير المدونة ، وقد تيسرت له هذا الجمع بسبب رحلاته الواسعة التي صرف جُل هَمّه فيها إلى طلب العلم وحضور الدروس على مشاهير العلماء ... وأبى أن يتحمل هو أي مسؤولية فيما يتعلق بحجية هذه الروايات ..)[٥] أي أنه أوكل

(1) **Ibid** (first edition) : Paret, al-Tabari, VII/578 ؛ Van Arendonk, Ibn Hadjar, III/ 379 ؛ Becker, al-Balathuri, II/611 ؛ Griffini, Ibn Abi l-Ridjal, III/356–357 ؛ Ibn Al-Athir, III/ 365؛ Seybold, Ibn Al-Khatib, III/397 ؛ V. Arendonk, Ibn Al-Daiba, III/369 ؛ Mittwoch, Hamza Al-Isfahani, III/256 ؛ Brockelmann, Kamal al-Din, IV/ 703–704 ؛ Levi Pronencal, Al-Makkari, V/173–174; & **Ibid** (new edition) : Pedersen, Abu Nuaym Al-Isfahani, I/142–143 ؛ De. Somogyi, Al-Dhahabi, II /214–216.

(2) Encyclopaedia of Islam (First edition) : Van Arendonk, Ibn Hadjar, III/ 379 ؛ V. Arendonk, Ibn Al-Daiba, III/ 369 ؛ Levi Pronencal, Al-Makkari, V/ 173–174 ; & **Ibid** (new edition) : F. Rosenthal, Al-Fasi, II/ 828–829.

(3) **Ibid** (first edition) : Alferd Bel, Ibn Khaldun, III/ 395 ؛ Brockelmann, Al-Yakubi, VIII /1152–1153 ; & **Ibid** (New edition) : P. Hardy, Firishta, II/ 921–923.

(4) **Ibid** (first edition) : Van Arendonk, Ibn Hadjar, III/ 379 ؛ J. Pedersen, Ibn Dukmak, III/ 374 ؛ H. Beveridge, Khwafi Khan, IV/ 868–869 ؛ Brockelmann, Al-Madaini, V/ 81–82 ؛ & **Ibid** (new edition) : J. A. Boyle, Djuwayni, II/ 606 ؛ De. Somogyi, Al-Dhahabi, II/214–216

(5) Encyclopaedia of Islam, (first edition) : Paret, al-Tabari, VII/ 578

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

أمر صحتها إلى مَن روَوا له إياها ، وأيضاً ذِكر الآخر لمنهج الواقدي بقوله : (وقد أثبت الواقدي أهم أسانيده في أوائل كتاب المغازي في صورة الفهرس ... وفي هذا الفهرس ذكر أسماء جميع العلماء الذين وُلدوا بالمدينة أو أقاموا بها وأفاد منهم الواقدي ، ثم أوصل سلسلة أسانيده إلى الزهري وعاصم بن عمر ...)[1] .

والجدير بالملاحظة في هذا المقام أن ذكر المستشرقين لاعتماد بعض المؤرخين المسلمين على الروايات الموثقة بالسند ؛ لا يعني بالضرورة أنّ هؤلاء المستشرقين سلّموا بصحة هذه الروايات أو بصحة هذه الأسانيد ، فمن المعلوم أن موقف المستشرقين العام من أسانيد روايات الفترة الأولى من الإسلام هو عدم الإقرار بصحته ، ولكن عدم التسليم بالصحة لا يمنع من إقرار بعضهم بأن المؤرخين المسلمين ساقوا رواياتهم مستندة إلى أسانيدها دون مناقشة قيمة هذه الأسانيد من وجهة نظرهم .

- اعتمادهم على الأساطير والقصص الشعبية فيما يخصّ تاريخ قبل الإسلام[2].

وفي هذا المسلك جانبان ، جانبٌ سلبيٌ وجانبٌ إيجابيٌ ، فالجانب السلبي متعلّقٌ بأمر النقد والتحقيق ، وسيتمّ تناوله في حين ذكر اهتمام المؤرخين بالنقد والتحقيق ، وأمّا الجانب الإيجابي فهو بذل الجهد الكبير في جمع هذه القصص والأساطير التي توسِّع دائرة المعرفة المتعلّقة بالموضوع المعني دراسته والتأليف فيه ، فهذه الروح العالية في بذل الجُهد في سبيل جمع أكبر قدرٍ من المعلومة أمرٌ يستحقّ التقدير - وإن كان التهاون في جانب النقد والتحقيق أمرٌ يُلام عليه هؤلاء المؤرخون - ، وقد أهمل المستشرقون ذكر هذه الإيجابية في خضمّ انشغالهم بإبراز مساوئ المسلك .

- اعتمادهم على المشاهدات والمعلومات المباشرة[1] .

---

(1) **Ibid,** Horovitz, Al-Wakidi, VIII/ 1104–1105

(2) **Ibid** (first edition): Paret, al-Tabari, VII/ 578 ; Becker, al-Balathuri, II/ 611 ; C. Torrey, Ibn Abd al Hakam, III/ 353 ; Brockelmann, Ibn Hisham, III/ 387 ;Krenkow, Al-Safadi, VII/ 52–54 ; Brockelmann, Al-Masudi, V/ 403–404 ; M. Pleessner, Al-Makin bin al-Amid, V/ 172–173 ; Brockelmann, Al-Nasawi, VI/ 854–855 ; Lichtenstadter, Nashwan, VI/ 855 ; & **Ibid** (new edition): Huici Miranda, Al-Baydhak, I/ 1129.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ويرى الباحث أنّ هذا المصدر من مصادر المعلومات يكاد لا يفارق أحداً من المؤرخين المسلمين ، وحتّى في كتاباتهم في السيرة المطهّرة التي لم يشاهدوا أحداثها ؛ كانوا يضيفون إليها مشاهداتهم المباشرة لمواقع الأحداث بوصفها وتعيين مواقعها .

ولقد ركّز المستشرقون على أهمية هذا المصدر من مصادر معلومات المؤرخين المسلمين ، واعتبروه أكبر وأهمّ عامل لتقويم كتابةٍ تاريخيةٍ مّا ، وغالباً ما قَبِلوا هذه المشاهدات والمعلومات التي جمعها أيّ مؤرخٍ مسلمٍ مباشرةً بطريقته الخاصّة ، وذلك بعد التحرّي والنقد على معايير البحث التاريخي الحديث[٢] ، ممّا يدلّ على أنّ هذه المشاهدات والمعلومات المباشرة جاءت في أغلبها صحيحةً أو قريبةً من الصحّة .

- اعتمادهم على الكتابات التاريخية الإسلامية السابقة[٣] .

وهذا أهمّ مصدرٍ للمعلومات وأكثرها استعمالاً ، ليس فقط عند المؤرخين المسلمين بل عند جميع الباحثين المسلمين في العصر الحديث أيضاً ، والمؤرخون

---

(1) Encyclopaedia of Islam (first edition): E. Mittwoch, Ibn-Sa'd, III/ 413 ; Horovitz, Al-Wakidi, VIII/ 1104–1105 ; Brockelmann, Al-Yakubi, VIII/ 1152–1153; Brockelmann, Al-Masudi, V/ 403–404; Sobernheim, Ibn Iyas, III/390–391; Babinger, Urudj, IX/257; Babinger, Pecewi, VI/1037; H. Beveridge, Khwafi Khan, IV/ 868–869 ; Khwandamir, IV/ 899–900 ; Babinger, Selaniki, VII/ 207 ; Bartold, Abd al-Razzak al-Samarkandi, I/ 63–64 ; Th. Menzel, Lutfi Pasha, V/ 54–56 ; W. Bjorkman, Muhammad Zaim, VI/ 696–697; Levi Provencal, Al-Wafrani, VIII/ 1083 ; & **Ibid** (new edition): W. Fuck, Al-Azraki, I/ 826–827 ; E. Ashtor, Baybars al-Mansuri, I/ 1127–1128 ; Huici Miranda, Al-Baydhak, I/ 1129 ; J. A. Boyle, Djouwayni, II/ 606 ; P. Hardy, Firishta, II/ 921–923 .

(٢)انظر على سبيل المثال :

Encyclopaedia of Islam (first edition) : H. Beveridge, Khwafi Khan, IV/ 868–869; Khwandamir, IV/ 899–900; Bartold, Abd al-Razzak al-Samarkandi, I/ 63–64 ; & **Ibid** (new edition): D. Ayalon, Al-Djabarti, II/ 355 - 356 ; J. A. Boyle, Djuwayni, II/ 606 .

(٣) انظر على سبيل المثال :

Ibid (first edition): Brockilmann, Ibn-Ishak, II/389; Ibn-Hisham, III/387; R. Paret, al-Tabari, VII /578 ; Becker, al-Balathuri, II/611 ; Brockilmann, al-Yakubi, VIII/1052–1053 ; Rene Basset, Ibn Abi Zar, III/358 ; Babinger, Urodj, IX/257; & **Ibid** (new edition): Lewick, Al-Bughturi, I/1287.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المسلمون منذ بداية الإسلام كانوا يتهافتون على جمع الكُتب ، حتى روي عن الواقدي[١] (١٣٠- ٢٠٧هـ) أنّه اقتنى كتباً بمبلغ ألفَي دينار[٢] ، وقدّم المسعودي[٣] في مقدمة كتابه (مروج الذهب) قائمةً طويلةً بكُتب التاريخ[٤] ، وكان جُلّ اهتمام المؤرخين المسلمين بالمصادر التاريخية التي كتبها المسلمون ، وذلك منذ القرن الثاني الهجري مع الاعتماد على الروايات الشفهية الموثقة بالسند فيما يتعلّق بالتاريخ الإسلامي في القرون الأولى ، ثمّ استغنى المؤرخون عن السَّنَد والروايات الشفهية ، وأصبح اعتمادهم على المصادر الإسلامية القديمة المكتوبة[٥] ، وفي هذا الصدد يشيد المستشرق روزنثال Rosenthal بالجهود المضنية للعلماء المسلمين - ومن بينهم المؤرخون - في التنقيب عن المخطوطات السابقة وجمعها من مختلف الأماكن[٦] .

- اعتمادهم على الكتابات التاريخية السابقة على الإسلام[٧] .

فقد عُني المستشرقون بإبراز هذا الجانب كثيراً ، وكشفوا النقاب عن كثيرٍ من المصادر اليونانية[٨] والسريانية[٩] والهندية والصينية[١٠] وغيرها التي

---

(١) هو : محمد بن عمر بن الواقد الأسلمي ، يُعرف بالواقدي نسبةً إلى جدّه الواقد ، ولد بالمدينة عام ١٣٠هـ وبها طلب العلم ثمّ رحل إلى بغداد عام ١٨٠هـ، وهو رأس في المغازي والسير ، تولّى منصب القاضي ببغداد وبها توفّي عام ٢٠٧هـ . انظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ط١ : ١٩٨٣ ، ٩/٤٥٤-٤٥٧ .

(٢) ابن النديم ، الفهرست ، طهران : رضا تجدد ، ١٩٧١ ، ص١١١ .

(٣) هو : علي بن الحسين بن علي المسعودي ، ولد في بغداد ونشأ بها ورحل في طلب العِلم إلى معظم بلاد العالم ، وتوفي بالفسطاط سنة ٣٤٦هـ ، وقد ذكر محمد محي الدين سبعة عشر كتاباً من تصانيفه أكثرها أصابته يد الضياع . انظر : معجم الأدباء ، ٥/١٤٧- ١٤٩ .

(٤) مروج الذهب ، تحقيق : محمد محي الدين ، بيروت : دار الفكر ، ط٥ : ١٩٧٣ ، ١/١٢- ١٧ .

(5) Encyclopaedia of Islam (First edition), H. Gibb, Tarikh, IX/ 233.

(٦)مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي ، ص٤٩-٥٥ .

(7) Encyclopaedia of Islam (new edition) : R. Paret, al-Tabari, VII/ 578 ; Becker, al-al-Balathuri, II/ 611; M.Canard, Al-Antaki, I/ 516 ; Enagle, Husayn Hezar-Fenn, III/623–624 ; E. Berthels, Rashid l-Din, VI/ 1124–1125 ; & **Ibid** (new edition) : P. Hardy, Firishta, II/ 921–923.

انظر كذلك هوروفيتس ، Horovitz، المغازي الأولى ومؤلفوها ، ترجمة : حسين نصار ، القاهرة : مكتبة مصطفى البابي ، ط١ : ١٩٤٩م ، ص٨٢- ٨٦ .

(8) Encyclopaedia of Islam (new edition): M.Canard, Al-Antaki, I/ 516; Enagle, Husayn Hezar-Fenn, III/ 623–624.

(9) **Ibid** (new edition) : M.Canard, Al-Antaki, I/ 516.

(10) **Ibid** (first edition) : E. Berthels, Rashidul-Din, VI/ 1124–1125 ; & **Ibid** (new edition) : P. Hardy, Firishta, II/ 921–923.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

اعتمد عليها بعض المؤرخين المسلمين واستخدموها في مؤلّفاتهم عن تواريخ هذه الأمم أو تواريخ المناطق التي كانت تحكمها هذه الأمم قبل الإسلام .

ويرى الباحث أنّ المؤرخين المسلمين باستخدامهم مصادر الأقوام الذين سجّلوا تواريخهم قد مثّلوا المنهج المعروف في مناهج البحث العلمي بـ (الرجوع إلى المصادر الأولية) ، كما برهنوا على روح المثابرة في البحث والهمّة العالية التي تمتعوا بها ، وعن حرصهم على تحرّي الدقة والأمانة ، ومن الجدير بالذكر أنّهم كانوا يستخدمون هذه المصادر مباشرةً من لغاتها تارةً[١] - وهو الأكثر عندهم - ، وبواسطة الترجمة تارةً أخرى[٢] .

- استفادتهم من الوثائق والمستندات الرسمية .

وفي هذا الصدد سمّى المستشرقون هذه الوثائق الرسمية بأسمائها أحياناً ، وعمّموا لفظ (الوثائق أو المستندات) بلا تحديد أحياناً أخرى[٣] ، لكنّهم اعتبروا وبشكلٍ عام هذه المستندات الرسمية مصدراً من مصادر معلومات المؤرخين المسلمين التاريخية ، وخاصّةً فيما يتعلّق بتواريخ الدول أو الحكّام التي كان معظم مؤلّفيها من رجال الدولة المرموقين[٤] .

ومن أنواع الوثائق الرسمية التي حدّدها المستشرقون ما يلي :

- الدواوين[٥] .
- دفاتر مالية[٦] .
- البريد الرسمي[١] .

---

(1) Encyclopaedia of Islam (first edition) : Berthels, Rashidul-Din, VI/1124–1125 ; F. Babinger, Pecewi, VI/1037; & **Ibid** (new edition) : Hardy, Firishta, II/921–923 ;Canard, Al-Antaki, I/516 .

(2) **Ibid** (new edition): Husayn Hezar Fenn, III/ 623–624.

(3) **Ibid** (first edition) : Rene Basset, Ibn Abi Zar, III/ 358 ; Alferd Bel, Ibn Khaldun, III/ 395 ; Brockelmann, Al-Nasawi, VI/ 854–855 ; Levi Provencal, Al-Wafrani, VIII/ 1083.

(٤)علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة : صالح العلي ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ط٢ : ١٩٨٣ ، ص١٦٧- ١٦٨ .

(٥) . Encyclopaedia of Islam (first edition), V. Arendonk, Ibn Khordadhbeh, III/ 398

(٥)

(6) **Ibid,** F. Babinger, Selaniki, VII/ 207 ; Koci beg, IV/ 1055.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

هذا وقد اعتبر المستشرقون هذا المصدر هامّاً وصحيحاً ، وجديرٌ بالذكر أنّه كان من عادة المؤرخين المسلمين نقل نصّ الوثيقة الرسمية بحذافيره في أحيان كثيرة[٢] .

- استفادتهم من المكتبات .

لقد ذكر المستشرق سورديل Sourdel [٣] عدداً كبيراً من المكتبات العامة والخاصّة في الدول الإسلامية في القرون الهجرية الأولى ، والتي كانت تفتح أبوابها لكلّ إنسان ، وكان يشرف عليها أجلّ العلماء ، وذكر من مرتاديها العلماء والأدباء والجغرافيين وغيرهم ممّن كانت لهم صلات بالمؤلّفات التاريخية[٤] ، كما ذكر غيره في أكثر من موضعٍ عكوف المؤرخين المسلمين على المكتبات لجمع المادة العلمية اللازمة لتأليفاتهم التاريخية[٥] .

ويرى الباحث أنّ مبدأ تكوين المكتبة عند المسلمين عموماً وعند المؤرخين منهم خاصّةً مبدأٌ قديمٌ جداً ، فقد كان لابن عباس رضي الله عنهما حِمل بَعيرٍ كُتُباً تركها عند مولاه كُريب (ت ٩٩هـ)[٦] الذي أودعها عند موسى بن عقبة[٧] الذي ألّف منها كتابه في المغازي[١] ، كما كان الواقدي يملك مكتبةً

---

(1) **Ibid**, Brockelmann, Al-Kadi al-Fadil, IV/ 607–608.

(٢) انظر مثلاً: محمد العتبي، تاريخ اليميني، القاهرة: جمعية المعارف، ١٢٨٦هـ، ١٨/٢؛ أبو الفضل البيهقي، تاريخ تاريخ البيهقي، ترجمة: يجيى الخشاب، بيروت: دار النهضة العربية، ط: ١٩٨٢، ص٥٩٤،٣٤٧،٣٣٠،١٤٤،٩٣،٩٠،٢.

(٣) هو : دومينيك سورديل .Dominic S مستشرق فرنسي معاصر ، ولد في عام ١٩٢١م ، اهتم في دراساته بالسورية ، وله صلة جيدة بالمعهد الفرنسي للدراسات الشرقية بدمشق ، وعني كذلك بدراسة الوزارة في الدول الإسلامية القديمة وبالآثار والوثائق الإسلامية لمختلف الدول وحقق عدداً من المؤلّفات الداخلة في إطار اهتماماته. انظر : المستشرقون ، ٣٦٥/١- ٣٦٧ .

(4) Encyclopaedia of Islam (new edition) : Bait Al-Hikma, I/ 1141 ; Dar Al-Hikma, II/ 126-127 ; Dar Al-Ilm, II/ 127.

(5) **Ibid** (first edition) : Alferd Bel, Ibn Khaldun, III/ 395–396 ; Levi Provencal, Al-Makkari, V/ 173–174 .

(٦) وهو كريب بن أبي مسلم أبو رشدين ، سمع ابن عباس ومعاوية وميمونة وأم سلمة رضي الله عنهم ، وروى عنه عمرو ابن دينار والزهري ومكحول وموسى بن عقبة وابناه رشدين ومحمد ، قال عنه يحيى بن معين (ثقة) . انظر : ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، حيدر آباد : دائرة المعارف العثمانية ، ط : ١ ، ١٢٧٢هـ ، ١٦٨/٧ .

(٧) هو : موسى بن عقبة بن أبي عياش الأسدي المطريفي ، مولى آل الزبير ، التقى بعبد الله ابن عمر في عام ٦٨هـ ، وسمع أم خالد وسهل بن سعد رضي الله عنهم ، وتتلمذ على الزهري ، وكانت له حلقة علم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يمنح فيها إجازات علمية ، روى عنه الثوري وشعبة ومالك وابن عيينة وابن المبارك . انظر : ابن حجر ، تهذيب التهذيب ، حيدر آباد : دائرة المعارف العثمانية ، ط : ١٣٢٥هـ ، ٣٦٠/١٠-٣٦٢ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

خاصّةً له[٢] ، فكانت المكتبات تمثّل أهمّ رافدٍ للمؤرخ المسلم يغذي منه معلوماته حول موضوع دراسته ، وهكذا نجد هذا التنوّع عند المؤرخين المسلمين في مصادر معلوماتهم التاريخية ، ذلك التنوّع الذي كان ينعكس على الكتابة التاريخية في شكل دقة المعلومة وسعتها في أحيان كثيرة ، ويكشف في الوقت نفسه عن روح التنقيب والبحث لدى المؤرخين المسلمين بشكلٍ عامٍ .

وتجدر الإشارة إلى أنّ المستشرقين بكشفهم عن هذه الأمور أدّوا جزءاً كبيراً من الأمانة العلمية المفروضة على كلّ باحث ، كما ساهموا - بقصدٍ أو غير قصد - في خلق الثقة في نفس القارئ في سِيَر المؤرخين المسلمين الذين ترجموا لهم في دائرة المعارف الإسلامية .

٣ - النقد والتحقيق عند جمع المادة العلمية :

عُني المستشرقون بهذا المنهج عند المؤرخين المسلمين ، فذكروا روح النقد والتحقيق عند بعض المؤرخين المسلمين[٣] ، وأشادوا أحياناً بهذه الروح وامتدحوها[٤] ، وذكروا في المقابل تقاعس البعض الآخرين عن النقد والتحقيق عند جمع المادة العلمية[٥] ، وخاصّةً فيما يتعلّق بالروايات الأسطورية والقصص الشعبية في تاريخ ما قبل الإسلام[٦] ، فوجّهوا النقد لَمن تقاعس عن النقد[١] ،

---

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، بيروت : دار صادر ، ٢٩٣/٥ ؛ سير أعلام النبلاء ، ١١٦/٦ .

(٢) الفهرست ، ص١١١ .

(3) Encyclopaedia of Islam (first edition) : Brockilmann, Ibn- Ishak, III/ 389 ؛ Horovitz, Al-Wakidi, VIII/ 1104–1105 ; Brockelmann, Al-Masudi, V/ 403–404 ; Barthold, Abd l-Razzak al-Samarkandi, I/ 63–64 ؛ & **Ibid** (new edition): P. Hardy, Firishta, II/ 921–923 .

(٤) انظر مثلا إلى ما كتبه المستشرق بيكر عن البلاذري : (وقد اعترف له الجميع بصحة الرواية والبصر بالنقد) Encyclopaedia of Islam (first edition) : C. H. Becker, al-Blathuri, II, p.611 . وانظر كذلك :

Ibid (first edition) : Sobernheim, Ibn Iyas, III/ 390–391؛ Mordtmann, Hasanbeyzade, III/ 279 ؛ Mittwoch, Hamza al-Isfahani, III/ 256 ؛ H. Gibb, Tarikh, IX/ 235,236,237 ; & **Ibid** (new edition) : P. Hardy, Barani, I/ 1036 ؛ D. Sourdel, Al-Djahshiyari, II/ 688.

(٥) فقد انتقد المستشرق توري Torrey المؤرخ عبد الرحمن بن عبد الحكم في كتابه (فتوح مصر) بقوله : (ويظهر من الكتاب براعة المؤلف في جمع ورواية الأحاديث ، إلا أن المأخذ عليه أنه لم ينتقد المواد التي جمعها كما ينبغي) . **Ibid** (first edition): C. C. Torrey, Ibn Abdl-Hakam, III/ 353 . ويبدو أن المستشرق قصد بالمواد تلك الروايات التي أوردها المؤرخ عن فضائل مصر وأهلها إذ فيها من الروايات الضعيفة الكثير الكثير . انظر : فتوح مصر وأخبارها ، بيروت : دار الفكر ، ط١ : ١٤١٦ ، ٤٩/١-٥٨ .

(6) Encyclopaedia of Islam, (first edition) : (first edition) : Brockelmann, Ibn Hisham, III/ 387 ؛ Krenkow, Al-Safadi, VII/ 52–54 ؛ ؛ Al-Nasawi, VI/ 854–855 ؛

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وعدم تحقيق المؤرخين المسلمين في أخبار الأقوام السابقة على الإسلام واعتمادهم في ذلك على الإسرائيليات أحياناً أمر غير خاف عن المحققين[٢] ، وهذا هو الجانب السلبي الذي أشار إليه الباحث من قبل عند الحديث عن استفادة المؤرخين المسلمين من الأساطير والقصص .

ثالثاً : تأليف المادة العلمية أو عرضها :

رأى عامّة المستشرقين في كتاباتهم التاريخية التزام المؤرخين المسلمين بأمورٍ منهجيةٍ فيما يتعلّق بمرحلة تأليف المادة العلمية التاريخية ، وهذه الأمور المنهجية كالتالي :

(١) تهيئة الجوّ المناسب للتأليف .

ففي مجال تهيئة الجوّ المناسب للتأليف رأى بعض المستشرقين أنّه كان من عادة بعض المؤرخين المسلمين التفرّغ للتأليف ، فكانوا ينقطعون للتأليف في أواخر أعمارهم أحياناً[٣] ، أو كانوا ينتهزون فرصة الإعفاء أو العزل عن مناصب الدولة في التفرغ للعلم والتأليف[٤] ، أو كانوا يطلبون الإعفاء أحياناً عن المناصب الرسمية رغبةً في الاعتكاف على التأليف والمطالعة العلمية[٥] ، أو كانوا يرفضون المناصب الرسمية حتى لا تشغلهم عن التدريس والتأليف[٦] .

وجدير بالملاحظة أنّ من بين الذين ذكرهم المستشرقون في هذا الصدد ثلاثةً من عمالقة التأريخ عند المسلمين ، وهم : ابن جرير الطبري ،

Lichtenstadter, Nashwan, VI/ 855.

(١) فقد انتقد بروكلمان المؤرخ المسعودي في كتابته عن فترة ما قبل الإسلام بقوله : (إنه لم يكن يصل إلى المصادر الأصيلة ..) . انظر : Brockelmann, Al-Masudi, V/ 403–404 ، وانتقد المستشرق هاردي المؤرخ فرشته في رواياته عن الأخبار الهندوسية بقوله : (ويستمر فرشته في سرد الوقائع من غير ذكر المصادر ..) . انظر : P. Hardy, Firishta, II/ 921–923 .

(٢) فقد تعرض لذلك عدد غير قليل من المحققين ، وعلى سبيل المثال انتقد محمد صامل العلياني منهج المؤرخ ابن إسحاق في إيراد أخبار تلك الفترة من غير ذكر سند الروايات . انظر : منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، الرياض : دار طيبة ، ط١ : ١٤٠٦ ، ص٣٥٠ ، وانتقد محمد محيي الدين منهج المسعودي في كتابه (مروج الذهب) في رواياته عن الأمم ما قبل الإسلام بأنها روايات شفهية عن العلماء وعن العامة ومروية بلا سند . انظر : المسعودي ، مروج الذهب ، تحقيق : محمد محيي الدين ، بيروت : دار الفكر ، ط٥ : ١٣٩٣ ، ص٣ .

(3) Encyclopaedia of Islam (first edition) : Ibn al-Athir, III/ 365.

(4) **Ibid** : E. Mittowoch, Ibn al-Kifti, III/ 398 ; H. Schaeder, Samsam l-Dawla, VII/ 138-139.

(5) Encyclopaedia of Islam, (first edition) : M. Sheneb, Ibn al-Abbar, III/ 352–353 ; Alferd Bel, Ibn Khaldun, III/ 395–396.

(6) **Ibid** : R. Paret, Al-Tabari, VII/ 578.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وابن الأثير[١] ، وابن خلدون[٢] ، كما يحسن لفت النظر إلى عدم إبراز المستشرقين لعادة التفرّغ للتأليف عند كلّ من الواقدي الذي لم يكن يشغل نفسه إلاّ بالعلم والتعليم والتأليف[٣] ، والمسعودي الذي صرف حياته للرحلة والسياحة في طلب العلم واستقرّ أخيراً في مصر للتأليف[٤] ، فإذا ما لاحظنا مبدأ مبدأ التفرّغ للتأليف عند كلّ هؤلاء وعلمنا بقيمة مؤلفاتهم العلمية ومكانتها بين كتب التاريخ الإسلامي ؛ وقفنا على أهمية هذا المبدأ ، واكتشفنا سِرّ بروز مؤلفات هؤلاء من بين مؤلفات التاريخ الإسلامي الكثيرة ، فالتفرغ لأيّ مجالٍ يساعد على تركيز الأفكار وحُسن الإنتاج ، ولهذا تفضّل معظم الجهات العلمية في العصر الحديث في منسوبيها وطلابها التفرغ للعلم ، وقد أدرك المؤرخون المسلمون أهمية هذا المبدأ منذ أقدم عصورهم وعملوا به عند القيام بأعمالهم الخالدة .

(٢) روح النقد والتحقيق :

وقد أشار إليها كثيرٌ من المستشرقين - كما تمّ بيانه في فقرةٍ سابقةٍ ضمن فقرات (جمع المادة العلمية) - .

وكان رأي المستشرقين من حيث التزام المؤرخين المسلمين بهذه الروح عند تأليف المادة العلمية مثل رأيهم في جمع المادة العلمية ، إذ رأوا الالتزام عند البعض دون البعض الآخر[٥] .

---

(١) هو : عز الدين أبو الحسن علي بن محمد ، ولد في ٥٥٥ هـ ، ونشأ في الموصل وبها تلقى العلم ، ثم رحل إلى بغداد لطلب العلم أيضا ، كما قام بزيارة بلاد الشام للغرض نفسه ، اشتهر بمؤلفين له بلغا في الشهرة الآفاق وهما (الكامل في التاريخ) و (أسد الغابة في تمييز الصحابة) ، التقى به ابن خلكان فوصفه بالفضل وحسن الأخلاق . ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، بيروت : دار صادر ، ط : ١٩٧٧ ، ٣٤٨/٣ .

(٢) هو : أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الإشبيلي ، ولد في تونس عام ٧٣٢هـ ، تقلد مناصب حكومية كثيرة لدى كثير من حكام المغرب الإسلامي حتى عام ٧٧٦هـ ، ثم اعتكف لتأليف كتابه الشهير (العبر) ، ومنذ عام ٧٨٤هـ أقام في القاهرة وألقى دروساً في الأزهر ، ثم تقلد منصب قاضي القضاة ، وتوفي عام ٨٠٨هـ في القاهرة . انظر : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ٤١٤/٤ .

(٣) سير أعلام النبلاء ، ٤٥٤/٩-٤٥٧ .

(٤) معجم الأدباء ، ٥/ ١٤٧-١٤٩ .

(5) Encyclopaedia of Islam (first edition) : Brockilmann, Ibn-Ishak, III/389 ; Al-Masudi, V/ 403–404 ; Ibn Hisham, III/387 ; Al-Masudi, V/403–404 ; Al-Nasawi, VI/854–855 ; Horovitz, Al-Wakidi, VIII/1104–1105 ; Paret, al-Tabari, VII/578 ; Becker, al-Balathuri, II/611; Barthold, Abdul-Razzak al-Samarkandi, I/63-64 ;Torrey, Ibn Abdul-Hakam, III/353; Krenkow, Al-Safadi, VII/52–54;

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

(٣) الاهتمام بذكر الجوانب الاجتماعية والإدارية والاقتصادية :

فقد رأى عامة المستشرقين التزام كثير من المؤرخين المسلمين بتسجيل هذه الجوانب الحضارية من التاريخ الإسلامي مع اهتمامهم بالجوانب السياسية والعسكرية[١] ، ممّا ساعد الدراسات الحضارية الحديثة على تكوين صورةٍ قريبةٍ من الصحة والواقع للمجتمع الإسلامي في عصر من العصور أو مصر من الأمصار ، أو على رصد مؤشرات الرقي أو الانحطاط الحضاريين التي مرّت بها الأمة الإسلامية في مختلف عهودها وفي مختلف البلاد في مختلف المجالات .

والحقيقة أنّنا نحتاج إلى دراسات مقارنة بين الكتابات التاريخية المأثورة عند المسلمين وغيرهم من الأمم لمعرفة الأمة الأكثر تفوقاً في مجال رصد هذه الجوانب الاجتماعية والحضارية ضمن كتاباتها التاريخية المتسمة بصحة المعلومة ودقة الوصف والنقل ، ولا ريب أنّ اعتراف المستشرقين بصحة المعلومات في معظم الكتابات التاريخية الإسلامية يجعل الباحث أكثر تفاؤلاً إزاء نتيجة الدراسة المقارنة المقترحة .

(٤) ذكر الاقتباسات من كُتب التاريخ الأخرى :

رأى عدد كبير من المستشرقين التزام عامة المؤرخين المسلمين بهذا المبدأ ، فأشاروا إلى الاقتباسات المطولة والقصيرة والمتوسطة التيأوردها المؤرخون المسلمون في كتبهم التاريخية من كتب أسلافهم[٢] أو زملائهم

Lichtenstadter, Nashwan, VI/855; & **Ibid** (new edition): Hardy, Firishta, II/921–923.

(1) **Ibid** (first edition) : Brockilmann, al-Yakubi, VIII/ 1052–1053 ؛ C.Torry, Ibn Abd al-Hakam, III/ 353 ؛ Becker, al-Balathuri, II/ 611 ؛ H. Beveridge, Khwafi Khan, IV/ 868–869 ؛ F. Babingar, Koci Beg, IV/ 1055 ؛ Barthold, Gardizi, III/ 130–131 ؛ Th. Menzel, Lutfi Pasha, V/ 54–56 ؛ Brockilmann, Al Makrizi, V/ 175–176 ؛ Minorsky, Narshakhi, VI/ 846 ; & **Ibid** (new edition) : Barthold & H. Masse, Banakiti, I/ 1511 ؛ D. Ayalon, Al Djabarti, II/ 355–356 ؛ D. Sourdel, Al Djahshiyari, II/ 688.

(2) Encyclopaedia of Islam (first edition) : Brockilmann, Ibn- Ishak, III/ 389 ؛ Horovitz, Al-Wakidi, VIII/ 1104–1105 ; Brockilmann, al-Yakubi, Viii/ 1052–1053 ؛ Becker, al-Balathuri, II/ 611 ؛ Levi Prorengal, Al Razi, VI/ 1136–1137 ؛ F. Krenkow, Al Sabi, VII/ 19–20 ؛ Kratschkovsky, Al Suli, VII/ 541–542 ؛ Balacher, Al Tulaitili, VIII/ 831 ؛ Bjorkman, Muhammad Zaim, VI/ 696–697 ؛ Kratschkowsky, Al Nuwairi, VI/ 968-969 ; & **Ibid** (new edition) : Lewick, Al Bughturi, I/ 1287 ؛ Al Darajini, II/ 140–141 ؛ Rosinthal, Al Faghani,

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

أحياناً[١] واعترف المستشرقون في هذا الصدد بالأمانة العلمية في النقل والتوثيق التي تحلّى بها هؤلاء المؤرخون[٢] ، كما أشادوا بهذا المبدأ منوهين بالفائدة الكبرى التي جنت الأجيال المتأخرة بهذا المبدأ ، ألا وهي أنّ هذه الاقتباسات حفظت لهذه الأجيال نصوصاً كثيرةً ذات فوائد متفاوتة في درجاتها من أصولٍ مفقودةٍ بسبب ما أصابها من تلف أو ضياع أو غير ذلك من صروف الدهر[٣] .

(٥) مراجعة المؤرخ لما كتبه مراراً والتعديل فيه :

لقد أشار بعض المستشرقين إلى هذا الأسلوب في تأليف الكتب التاريخية عند المؤرخين المسلمين ، فرأوا أنّ هؤلاء المؤرخين كانوا إذا ألّفوا كتاباً يعيدون النظر فيه مراراً ، فيضيفون إليه صفحات أو فصولاً أو يحذفون منه مثل ذلك ، وذلك بحسب ما استجدّت لهم من المعلومات والآراء[٤] .

وهذا الأسلوب يعبّر صريحاً عن مَلَكة النقد والتحقيق لدى المؤرخين المسلمين ، وعن عدم إصرارهم على آرائهم وتمسّكهم بها مهما حصل ، كما يعبّر عن حبّهم للحق وخضوعهم له وإدراكهم العميق بقصور المعرفة البشرية وفهمها ، وباعتقادهم بتطور المعرفة والفكر عند الفرد والمجتمع ، كما تساعد هذه الظاهرة على تفسير ظاهرة تاريخية أخرى شائعة في المخطوطات الإسلامية ، ألا وهي اختلاف نُسَخ مخطوطات كتاب واحد من حيث الزيادة والنقصان ، إذ لعلّ من الأسباب المؤدية إلى هذا الاختلاف هو هذه الظاهرة .

II/ 793 ؛ Nallino, Abu l-Faradj al-Isbahani, I/ 118 .

(١) انظر على سبيل المثال ما ذكره المستشرق كراتسكوفسكي أنّ المؤرخ (العريب) كان من معاصري الصولي ، وكان يقتبس من كتبه :
Encyclopaedia of Islam (first edition) ؛ Kratschkovsky, Al-Suli, VII/ 541–542 .

(2) **Ibid** (first edition) ؛ Krenkoow, Al-Sabi, VII/ 19–20 ؛ Bjorkman, Muhammad Zaim, VI/ 696–697 ؛ L. Provencal,Al-Makkari, V/ 173–174 ; & **Ibid** (new edition) ؛ Nallino, Abu l-Faradj al-Isbahani, I/ 118 ؛ Lewick, Al-Bughturi, I/ 1287.

(3) Encyclopaedia of Islam (first edition) ؛ Levi Prorengal, Al-Razi, VI/ 1136–1137 ؛ Krenkow, Al-Sabi, VII/ 19–20 ؛ Rosenthal, Abd al-Kadir al-Kurashi, I/ 70 ؛ L. Provencal,Al-Makkari, V/ 173–174 ; & **Ibid** (new edition) ؛ Nallino, Abu l-Faradj al-Isbahani, I/ 118 ؛ Lewick, Al-Bughturi, I/ 1287 ؛ Rosenthal, Al-Farghani, II/ 793.

(4) Encyclopaedia of Islam, Brockilmann, al-Masudi, V/ 403–404 ؛ Becker, al-Balathuri, II/ 611 ؛ De. Somogyi, Al-Dhahabi, II/ 214–216 ؛ Rosenthal, Al-Fasi, II/ 828–829 ؛ Brockilmann, Kaml al-Din, IV/ 703–704 .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّه قد فات المستشرقين في هذا الصدد أمرٌ هو أنّ بعض المؤرخين المسلمين كانوا يقومون بمراجعة كتبهم قبل دفعها للعوام مراجعات عديدة ، وكانوا يقومون خلالها بإجراءات حذفٍ أو إضافةٍ أو تعديلٍ[١].

(٦) الأمانة والحيادية في الوصف :

لقد سجل عددٌ جيدٌ من المستشرقين آراءهم واستحساناتهم لهذه الروح لدى كثيرٍ من المؤرخين المسلمين ، فسجلوا لهم صفة الأمانة[٢] والإنصاف[٣] التي تحلّوا بها ، ويرى الباحث أنّ هؤلاء المستشرقين أنفسهم تمثّلوا - وإلى حدٍّ مّا - بهذه الروح المنهجية في كتاباتهم تلك إذ لم يشعروا بأيّ ترددٍ في تسجيل هذه المأثرة للمؤرخين المسلمين .

رابعاً : التوثيق العلمي لمصادر المعلومات :

لا تكاد تخلو مادة من المواد المعنية بالمؤرخين المسلمين في دائرة المعارف الإسلامية في طبعتيها من التطرّق لمنهج التوثيق العلمي لمصادر المعلومات عند عامة المؤرخين المسلمين والتزامهم أو التزام السواد الأعظم منهم بهذا المنهج العلمي .

كما يشيد المستشرق روزنثال Rosenthal بهذا الأمر مخبراً أنّ المؤرخين كانوا من أحرص علماء المسلمين على التوثيق لمصادر المعلومات ، وأنّ مَن يفوته التوثيق منهم ؛ كان يتعرّض للنقد الشديد من زملائه[٤] .والذي بدا للباحث أنّ المستشرقين كانوا دقيقين في معلوماتهم عند الحديث عن هذا المنهج لدى أيّ مؤرخ مسلم ، إذ أنّهم كانوا يحدّدون نوع التوثيق بدقة غالباً ، وكانوا يشيرون في كثيرٍ من الأحيان إلى إخلال بعض المؤرخين بالمنهج ولو في بعض أجزاء مؤلّفاتهم ، فقد عرف المستشرقون مبدأ (السّنَد) باعتباره نوعاً من التوثيق

---

(١) انظر ما فعله ابن الأثير بصدد كتابه الشهير (الكامل في التاريخ) من مراجعات طويلة : الكامل في التاريخ ، بيروت : دار الفكر ، ط : ١٩٨٧ ، ٦/١ (المقدمة) .

(2) Encyclopaedia of Islam, (first edition) : Paret, al-Tabari, VII/ 578 ; Brockilmann, al-Yakubi, VIII/ 1052 ; Becker, al-Balathuri, II/ 611 ; Brockilmann, Al-Nasawi, VI/ 854–855 ; F. Babingar, Naima, VI/ 839 ; & **Ibid** (new edition) : Rosenthal, Al-Fasi, II/ 828–829.

(3) **Ibid** (first edition) : Paret, al-Tabari, VII/ 578 ; Brockilmann, al-Yakubi, VIII/ 1052 ; Becker, al-Balathuri, II/ 611 ; Beveridge, Khwandamir, IV/ 899–900 ; Barthold, Abd al-Razzak, I/ 63–64 ; F. Babingar, Naima, VI/ 839 ; & **Ibid** (new edition) : D. Ayalon, Al-Djabarti, II/ 355–356.

(٤) مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي ، ص١١٦- ١١٩ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

العلمي[١] - وذلك على الرغم من تشكيكهم فيه في بداية التاريخ الإسلامي - ، وعرفوا كذلك المصادر المدونة والشفهية[٢] ، وفصّلوا بين ذكر المصادر إجمالاً[٣] أو تفصيلاً[٤] .

والأمر الآخر الذي ذكره المستشرقون في مجال التوثيق العلمي هو : إعلان المؤرخ المسلم عن تبرّئه من أخطاء ناقلي الأخبار بعد ذكر السند أو المصدر ، وقد أشار بعض المستشرقين إلى هذه النقطة بصفتها منهجاً عاماً لدى المؤرخين المسلمين الأقدمين[٥] .وهكذا قدّم المستشرقون في دائرة المعارف الإسلامية - في طبعتيها - عرضاً جيداً بالمناهج العلمية التي التزم بها عامة المؤرخين المسلمين في كتاباتهم التاريخية ، ولكن بصورةٍ متفرّقة وغير مصرّح بكونها مناهج علمية ، ولكنّ الذي يبدو من جمعها وتصنيفها هو أنها ليست مناهج ذات طابع علمي فحسب ؛ بل هي تتفق ومعايير منهجية البحث التاريخي الحديث في كلّ فقرةٍ من فقراتها .

وقفات عند الجوانب السلبية لمرئيات المستشرقين حول منهجية المؤرخين المسلمين :

سيقف الباحث في هذا الفصل عند الجوانب السلبية لمرئيات المستشرقين وفق الأركان الأربعة التي يتكون منها البحث العلمي ، والتي تمّ الاعتماد عليها في الفصل السابق ، مناقشاً هذه الآراء الاستشراقية ومعلقاً عليها .

---

(1) Encyclopaedia of Islam (first edition) : Brockilmann, Ibn- Ishak, III/ 389 ؛ Horovits, Al-Wakidi, VIII/ 1104–1105 وفيه يتحدث المستشرق عن منهج ابن سعد في الطبقات ؛ Paret, al-Tabari, VII/ 578 ؛ Pedersen, Ibn Dukmak, III/374 ؛ Beveridge, Khwafi Khan, IV/868–869؛ Brockilmann, Al-Madaini, V/ 81–82 ؛ & **Ibid** (new edition) : Boyle, Djuwayni, II/ 606 ؛ Somogyi, Al-Dhahabi, II/ 214–216. ومنهج الطبري في التاريخ

(٢) انظر على سبيل المثال :

Encyclopaedia of Islam : Brockilmann, al-Yakubi, VIII/1052–1053 ؛ al-Masudi V/403 ؛ Becker, al-Balathuri, II/611؛ Paret, al-Tabari, VII/578؛ Fuck, Al-Azraki, II/826–827؛ Boyle, Djuwayni, II/ 606.

(3) **Ibid** (first edition) : Griffini, Ibn Abil-Ridjal, III/356–357 ؛ Bjorkman, Muhammad Zaim, VI/ 696–697 ; & **Ibid** (new edition) : Barthold, Banakiti, I/ 1511 ؛ Walsh, Djalalzade Celebi, II/ 400.

(4) **Ibid** (first edition) : F. Babingar, Urudj, IX/ 257 ؛ Berthels, Nizm l-Din, VI/ 931–932 ؛ F. Babingar, Naima, VI/ 839 ; & **Ibid** (new edition) : Boyle, Djuwayni, II/ 606 ؛ Lewicki, Al-Darjini, II/ 140–141 ؛ Somogyi, Al-Dhahabi, II/ 214–216 ؛ Rosinthal, Abd al-Kadir al-Kurashi, I/ 70.

(5) Encyclopaedia of Islam (first edition), Kratschkowsky, Al-Nuwairi, VI/ 969.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

أولاً : اختيار موضوع البحث :

لم يجد الباحث في هذا الصدد ما يراه قابلاً للوقوف عنده للنقد والمناقشة .

ثانياً : جمع المادة العلمية للبحث :

اتبع بعض المؤرخين المسلمين سبيلين لجمع ما يحتاجونه من المواد العلمية التي تعينهم في تأليف دراساتهم التاريخية ، وهما :

(١) الاهتمام بالآثار الجغرافية :

وبالرغم من أن بعض المستشرقين قد أثبت هذا الأمر لكل من اليعقوبي[١] وابن أبي الرجال[٢] ، وذكر أنهما كانا يعتنيان بجمع المعلومات الكثيرة المتعلقة ببعض المعالم الجغرافية الثابتة كالجبال والكهوف والوديان التي لها صلة بالأحداث التاريخية أو شخصياتها ، كما كانا مهتمَّين بجمع المعلومات المفيدة في تحديد المسافات بين المدن والقرى أو تعيين المواقع الجغرافية أو غير ذلك[٣] إلا أنه يلاحظ في هذا المقام تجاهل المستشرقين - في دائرة المعارف الإسلامية - لجهودَ كثيرٍ من المؤرّخين المسلمين الجغرافية غيرهما ، لا سيما الواقدي الذي هو أول مَن اهتمّ بالأمور الجغرافية من بين المؤرخين المسلمين ، حيث كان يشدّ الرحال إلى أماكن الأحداث لمشاهدتها ووصفها بدقة[٤] ، وكذلك المسعودي

---

(١) هو : أحمد بن إسحاق بن جعفر العباسي بالولاء ، حيث كان جدّه واضح مولى الخليفة المنصور ، قضى شبابه في خراسان وأرمينية في خدمة آل طاهر ولُقّب بالكاتب العباسي ، ولعلّ عمله في هذا السلك هو الذي هيّأ له فرص التجوال في بلاد إسلامية وغير إسلامية كثيرة وفرص الوقوف على مشاهد السفراء وعمّال الدولة في بلاد أخرى ، وبعد سقوط الدولة الطاهرية في ٢٥٩هـ رحل اليعقوبي إلى مصر حتى توفي بها في ٢٨٤هـ . معجم الأدباء ، ٨٢/٢ .

(٢) هو : أحمد بن صالح بن محمد اليمني الزيدي ، ولد في ١٠٢٩هـ ، وعاش في اليمن متنقلاً بين مدنها الكثيرة ، واستقرّ أخيراً في صنعاء التي تولى فيها منصب الخطيب والكاتب ، اشتهر بكتابه التاريخي (مطلع البدور ومجمع البحور) الذي ترجم فيه لما يزيد على ١٣٠٠ شخصٍ يدينون بالمذهب الزيدي من العراق واليمن ، توفي في صنعاء في ١٠٩٢هـ . انظر : الزركلي ، الأعلام ، بيروت : دار العلم للملايين ، ط٥ ، ١٩٨٠م ، ج١، ص١٣٧ .

(3) Encyclopaedia of Islam (first edition) : Brockilmann, Al-Yakubi, VIII/ 1152–1153 ; Griffini, Ibn Abi l-Ridjal, III/ 356–357 .

(٤) انظر حول منهجه : محمد صامل العلياني ، منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، الرياض : دار طيبة ، ط١ : ١٤٠٦هـ ، ص٣٥٩ ؛ عبد العزيز السلومي ، الواقدي وكتابه المغازي (رسالة دكتوراه) ، المدينة المنورة : كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية ، ١٤١٦هـ ، ص١٥٥ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الذي جاب معظم بلاد العالم المعروف آنذاك ، غير أن المستشرق روزنثال Rosenthal قد أشار - في كتابته خارج دائرة المعارف - إلى جهود الواقدي في تتبع الآثار ، كما أشاد بجهود المؤرخ ابن الكلبي[١] في تاريخه عن مدينة الحيرة[٢] في الصدد نفسه[٣] .

وعدم إشارة المستشرقين الذين كتبوا عن مؤرخين مسلمين اشتهر عنهم العناية بالجانب الجغرافي في مؤلفاتهم التاريخية يُعدّ جانباً سلبياً لرؤية هؤلاء إلى منهجية أولئك المؤرخين ، وكان الباحث يتوقع أن يجد ذكر هذا المنهج عند عدد كبير من المستشرقين الذين عُنوا بالكتابة عن مؤرخين مسلمين اهتموا في الحقيقة بهذا الجانب العلمي في مؤلفاتهم التاريخية .

(٢) جمع القصائد والخُطب التي ألقيت في مناسباتٍ تاريخية .

لم يتطرق المستشرقون إلى ذكر الجهود الكبيرة التي بذلها المؤرخون المسلمون في جمع القصائد والأبيات التي قيلت بمناسبةٍ تاريخيةٍ أو الخُطب التي ألقيت فيها ، مكتفين بذكر استعمالهم لهذه النصوص الأدبية في تأليفاتهم التاريخية صفتها مستنداتٍ تضيف معلوماتٍ جديدةً أو تسجّل نوعاً من الظاهرة الأدبية السائدة في تلك الحقبة التاريخية في ذلك المكان الجغرافي الذي كتبوا عنه[٤] .

---

(١) هو : أبو المنذر ، هشام بن محمد بن السائب ، عني بالتاريخ ورواية الآثار ، ضعفه ابن حنبل والذهبي ، واتهمه ابن حجر بالكذب والرفض ، إلاّ أن مؤلفاته لا تخفى قيمتها العلمية ، فمن أجل آثاره : (جمهرة الأنساب) و (كتاب الأصنام) . انظر : مقال (ابن الكلبي) ، اردو دائره معارف اسلامية ، لاهور : جامعة بنجاب ، ط١ : ١٩٧٣ ، ٦٥٥/١- ٦٥٦ .

(٢) الحيرة بالكسر ثم السكون وراء مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النجف ، كانت مسكن ملوك العرب في الجاهلية من زمن نصر ثم من لخم النعمان وآبائه ، فتحت في عهد الفاروق رضي الله عنه . انظر : معجم البلدان ، ٣٢٨/٢ .

(٣) علم التاريخ عند المسلمين ، ص٩٠ ، ١٧٣-١٧٨ .

(4) Encyclopaedia of Islam (first edition), Brockilmann, Al-Yakubi, VIII/ 1152–1153؛ Berthels, Khwandamir, IV/ 899–900؛ Nizami Hasan, VI/ 939؛ Nizami Hasan, VI/ 939؛Brockilmann, Al-Yakubi, VIII/ 1152–1153.

وانظر كذلك : علم التاريخ عند المسلمين ، ص٩٧-٩٨ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ولقد رأى الباحث تصنيف هذا الأمر ضمن (جمع المادة العلمية للبحث) واعتباره من سلبيات المستشرقين ، لأنّ ما ذكره المستشرقون من استعمال الشعر والخُطب هو ما يمكن تصنيفه ضمن (إعداد المادة العلمية) أو (التوثيق العلمي للمواد المذكورة) وليس ضمن (جمع المادة العلمية) ، ومعلوم لدى المنشغلين بالبحث العلمي أنّ عرض هذه المواد مسبوقٌ بالجمع ، والجهد المبذول في الجمع أكثر من الجهد المبذول في العرض ؛ كما أنّ المؤرخين الذين دأبوا على إدراج النصوص الأدبية في مؤلّفاتهم التاريخية - وخاصةً الأوائل منهم من أمثال ابن إسحاق[١] واليعقوبي[٢] رحمهما الله - هم الذين مهّدوا الطريق لغيرهم للقيام بدراسات تاريخية تعتمد على عِلم اللغة ، وكانت هذه الدراسات قائمةً على البحث والنقد عند جمع المادة العلمية بصورةٍ تفوق الجهود المبذولة عند عرضها[٣] .

ومهما يكن من أمر ، فإنّه من الملاحظ إهمال المستشرقين ذِكر هذه الجهود المبذولة في جمع القصائد والخطب أثناء تعريفهم بعددٍ كبيرٍ من المؤرخين المسلمين الذين كانوا مهتمّين بالاستشهاد بالنصوص الأدبية أثناء السرد التاريخي في مؤلفاتهم ، وخاصةً الأوائل منهم ، إذ يكاد أمر الاستشهاد بالنصوص الأدبية - ولاسيما الشعر والخُطَب - يكوّن في الواقع منهجاً عاماً عندهم[٤] .

---

(١) انظر منهجه عند : محمد صامل العلياني ، المرجع السابق ، ص٣٤٩،٣٥٠ .

(٢) انظر : تاريخ اليعقوبي ، بيروت : دار صادر ، ط : ١٩٦٠ ، القسم :١ ، ص٢٧٠ وما بعدها .

(٣) انظر رأي المستشرق جب H. Gibb حول فقه اللغة وأثره في تطور كتابة التاريخ الإسلامي
Encyclopaedia Islam (first edition), Abu Ubayda ibn al-Muthnna, I/ 158 Tarikh, IX/ 235 : of ; .

(٤) انظر مثلاً : منهج ابن إسحاق في : منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، ص ٣٤٩- ٣٥٠ ؛ ومنهج الواقدي في : منهج كتابة التاريخ الإسلامي أيضاً ، ص٣٥٨ ؛ وفي : الواقدي وكتابه المغازي ، ص١٥٨ ؛ ومنهج ابن هشام في معظم كتابه : سيرة النبي صلى الله عليه وسلم (الكتاب راجعه : خليل هراس ، وطبعته مكتبة الجمهورية بالقاهرة)، وخاصة الجزأين الثالث والرابع ؛ ومنهج البلاذري في كتابه : فتوح البلدان (الكتاب بتحقيق : عبد الله وعمر أنيس الطباع ، طبعته مؤسسة المعارف ببيروت عام ١٩٨٧) ، ٢/ ٣٢٠- ٣٢١ ، ٣/ ٥٣٢،٥٠٩،٥٠٨ ؛ ومنهج المسعودي في : مروج الذهب ، ١/ ٧٠ ، ٢/ ٨٨ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ثالثاً : تأليف المادة العلمية أو عرضها : ذكر المستشرقون في هذا المجال النقاط التالية :

(١) ضعف النقد والتحقيق في الفترة الأولى من التدوين التاريخي .

(٢) الإخلال بالأمانة العلمية إزاء بعض الأمور .

(٣) عدم صحة معلومات الفترة الأولى من التدوين التاريخي .

ففيما يتعلّق الأمر **بالنقطة الأولى** ؛ فقد أثنى المستشرقون على منهج النقد والتحقيق لدى المؤرخ المسلم ، ولكنهم اعتبروا هذه الروح وليدة التطور الذي شهدته الكتابة التاريخية في نهاية القرن الثاني ، ولهذا السبب فإنّ المأخذ الذي يؤخذ على المستشرقين عموماً هو أنّهم لم يُشيروا إلى تحقّق المؤرخين المسلمين بالسَّنَد ونقدهم له وعدولِهم عن رواياتٍ كثيرةٍ بسبب ما بدا لهم من ضعفٍ في السّنَد[١] ، وذلك على الرغم من إشارة المستشرق هاردي P. Hardy[٢] إلى تحقق المؤرخ فرشته[٣] من الروايات الشفهية الهندية التي جمعها عن الفترة السابقة على الإسلام بالهند[٤] ، فإذا كان أمر نقد الروايات الشفهية الهندية في القرن الحادي عشر الهجري جديراً بالذكر والاستحسان ؛ فلماذا يتمّ تجاهل ذكر تلك الجهود المضنية التي بذلها روّاد التاريخ الإسلامي في فحص السّنَد ؟ .

غير أنّه يجب استثناء المستشرق جِب H. Gibb من هذا التعميم في المأخذ ، إذ هو الوحيد الذي أشاد بعملية النقد والتحقيق التي لاقاها السّنَد من قِبَل

---

(١) كما فعل موسى بن عقبة في مغازيه ، وخليفة ابن خياط في تاريخه ، انظر : تهذيب التهذيب ، ٣٦١/١٠ ، وفيه قول الإمام مالك عن مغازي موسى : (عليكم بمغازي موسى بن عقبة فإنّه رجل ثقة طلبها على كبر السن ليقيد من شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يكثر كما كثَّر غيره) ؛ وانظر : تاريخ خليفة بن خياط (من تحقيق : أكرم ضياء العمري ، وطبعة دار طيبة بالرياض عام ١٤٠٢هـ) ، ص١٩٢، ٨٨، ٦٨ ، وذلك للوقوف على منهج بن خياط في عدم سوق كثير من الأخبار خوفاً من علّة فيه ، وانظر كذلك : منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، ص٤٣٥ لمعرفة منهج ابن خياط في انتقاء السند في الروايات المتعلقة بأحداث التاريخ الإسلامي .

(٢) هو : مستشرق إنجليزي معاصر ، عمل أستاذاً للدراسات الإسلامية في جامعة لندن London ، وتقاعد في عام ١٩٩٤م ، عُني بالتاريخ الإسلامي في الهند وبالأدب الفارسي الإسلامي ولا سيما المتعلق منه بالدولة الغزنوية ، له مشاركات في دائرة المعارف الإسلامية . مناظر أحسن ، رسالة شخصية ، لندن : ١٥/١١/١٩٩٤م .

(٣) هو : مُلاّ محمد قاسم هندو شاه ، الملقب بـ (فرشته) (الملاك) ، ولد في مدينة أستر آباد عام ٩٦٠ هـ ، ونشأ في مدينة أحمد آباد الهندية ، والتحق ببلاط مرتضى نظام شاه في شبابه ، ثم بإبراهيم عادل الثاني في بيجابور ، وبناءً على طلبه ألّف كتابه (گُلْشَن إبراهيمي) المعروف بتاريخ فرشته باللغة الفارسية ، توفي عام ١٠٣١هـ. تاريخ فرشته ، مقدمة المترجم ، ج١ ، ص٢٨- ٢٩ .

(4) Encyclopaedia of Islam (new edition) : Firishta, II/ 921–923.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المؤرخين المسلمين في بدايات الكتابة التاريخية عندهم في أكثر من موضع ، ورأى أنّ هذه الجهود قد استمرّت طوال القرون الثلاثة الأولى بدءاً بكتابة المغازي والسِّيَر ، وانتهاءً على يدي المدائني (ت ٢٢٥هـ)[١] وتلامذته[٢] .

وفيما يتعلق بأسلوب **الإخلال بالأمانة العلمية** الذي رأى بعض المستشرقين وقوع بعض المؤرخين المسلمين فيه في مؤلفاتهم ، فكان هذا الإخلال يتمثل في الأمرين التاليين[٣] :

❖ **السرقة العلمية :**

فقد سجّل كلٌ من كراتشكوفيسكي Kratschkovsky[٤] وبروكلمان Brockelmann[٥] وفكا Fuck[٦] حالات سرقة علمية عند ثلاثة

---

(١) هو : علي بن محمد بن عبد الله المدائني ، نشأ بالبصرة ، وروى عنه ابن خياط وابن بكار ، قال عنه الذهبي : (كان عجباً في معرفة السير والمغازي ... مصدقاً فيما ينقله) . انظر : سير أعلام النبلاء ، ١٠/٤٠٠ ، ومع ذلك ضعّفه البعض . انظر : ابن حجر ، لسان الميزان ، حيدر آباد : دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٢٩هـ ، ٤/٢٥٣ .

(2) Encyclopaedia of Islam (first edition) : Tarikh, IX/ 235,236.

(٣) وهناك أمر ثالث أشار إليه المستشرق مينزيل Menzel ، وهو ما عُرف في الأدب الإسلامي القديم باسم (التحامل على الأقران) ، وقد ذكره المستشرق عند تعريفه بالمؤرخ العثماني لطفي باشا ، فاتهمه بأنّه على الرغم من تقديمه المعلومات الصحيحة والدقيقة في مؤلفه عن تاريخ آل عثمان ؛ كان متحاملاً على الأقران من أصحاب المناصب العالية في الدولة . انظر : Lutfi Pasha, V/ 54–56 : Encyclopaedia of Islam (first edition). ولهذا يرى الباحث أنّ هذا الأسلوب لا يمكن اعتباره منهجاً أو أسلوباً التزم به ولو عددٌ قليلٌ من المؤرخين المسلمين .

(٤) انظر : Encyclopaedia of Islam (first edition), Al-Suli, VII/ 242 ، وفيه : (أنّ ياقوت في معجم الأدباء قال بأنّ كتاب الأوراق للصولي ليس سوى سرقة من كتاب أشعار قريش للمرثدي) .
وكراتشكوفسكي هو : أغناطيوس كراتشكوفسكي ، مستشرق روسي ولد في ١٨٨٣ في لتوانيا Lettonie وتخرج في جامعة بطرسبرج بقسم اللغات الشرقية وزار بلاد الشام ومصر في ١٩٠٨- ١٠م ، عُين أستاذاً للعربية في الجامعة نفسها في ١٩١٧ وانتخب عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق (١٩٣٢) ، عُني بالشعر العربي والتاريخ الإسلامي والمخطوطات الإسلامية ، أهم أعماله ترجمة القرآن المجيد إلى الروسية . انظر : المستشرقون ، ٣/٨٣- ٩٠ .

(٥) انظر : Encyclopaedia of Islam (first edition), AL-Makrizi, V/ 175 ، وفيه : (أنّ كتابه في تاريخ مصر قد تمت فيه الاستفادة من كتاب الأوحدي دون ذكر اسم الأوحدي) .
وبروكلمان هو : Carl B. ، مستشرق ألماني ولد في روستوك Rostock في ١٨٦٨ ، وتخرج في جامعة استراسبورج Strasbourg في ١٨٩٠ ثم في بروكسل Bruxelles ١٨٩٣ ودرّس الأدب الإسلامي في جامعات أوربية وانتخب عضواً في المجمع العلمي بدمشق وجمعيات آسيوية كثيرة ، عُني بالتاريخ والأدب الإسلاميين ، توفي في ١٩٥٦ . انظر : المستشرقون ، ٢/٤٢٤- ٤٣٠ .

(٦) انظر : Encyclopaedia of Islam (first edition), Al-Azraki, I/ 827 ، وفيه : (أنّ محمد بن إسحاق الفاكهي قد سرق من كتاب الأزرقي في تاريخ مكة في عام ٢٧٢هـ) .
وفكا هي : فرجينا فكا Virginia ، مستشرقة إيطالية ، ولدت في روما عام ١٨٩١ وأقامت بالقاهرة منذ ١٩١١ ، نالت الدكتوراه في ١٩١٧ وعينت محررة لمجلة الشرق الحديث ، اهتمت بالتاريخ الحديث للشعوب الإسلامية ولاسيما المصريين والهنود ، ولها مقالات كثيرة في دائرة المعارف الإسلامية في طبعتها الأولى تتناول جوانب كثيرة من التاريخ الإسلامي . انظر : المستشرقون ، ١/٤٤٤- ٤٤٥ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

من المؤرخين المسلمين هم : الفاكهي[١] والصولي[٢] والمقريزي[٣][٤] ، منها حالتان كشفهما - في زعمهم - مؤرخان مسلمان هما ياقوت[٥] والسخاوي[٦] ، ولكن تبيّن للباحث بعد الرجوع إلى المصدرَين الإسلاميين أن كلاً منهما لم يذكر أي سرقة في حق المؤرخَين المتهمَين بالسرقة[٧] .

وبهذا يكون المستشرقَين اللذَين اتهما المؤرخَين المسلمَين قد وقعا - في حقيقة الأمر - في خطأ يمكن أن يوصف بأنه بعيد عن الأمانة العلمية ، وعدم تسجيل مستشرق آخر غير الثلاثة المذكورين لحالة سرقة علمية عند أيّ من

---

(١) هو : أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس ، ألّف كتاباً حول تاريخ مكة المكرمة في المدينة نفسها في عام ٢٧٢هـ سماه (أخبار مكة) . انظر : مقال (الفاكهي) ، اردو دائره معارف اسلامية ، ١٣٦/١٥ .

(٢) هو : أبو بكر محمد بن يحيى ، مؤرخ وأديب ، واشتهر بالمهارة الفائقة في لعب الشطرنج ، أخذ اللغة على ثعلب والمبرّد ، كان ذو مكانة مرموقة في بلاط المكتفي بالله العباسي ، ثم أصبح نديماً لعدد من خلفاء بني العباس ، ولكنه اضطر للاختفاء في بصرة بعد روايته لأثر ينتصر لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وتوفي على هذه الحال عام ٣٣٦هـ، من أهم آثاره : (كتاب الأوراق في أخبار بني العباس) و (كتاب الوزراء) . انظر : مقال (الصولي) ، اردو دائره معارف اسلامية ، ٢٥٠/١٢-٢٥٢ .

(٣) هو : أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي الحسيني المصري ، ولد في ٧٦٦هـ في القاهرة ، عُيّن نائباً لقاضي مدينة القاهرة ، ثم أستاذاً في المدرسة المؤيدية ، وفي عام ٨١١هـ أرسل إلى دمشق ناظماً لأوقاف القلانسية ، وبعد عشرة أعوام عاد إلى القاهرة ، وحجّ في ٨٣٤هـ ومكث بمكة المكرمة مدة خمس سنوات وتوفي بها في ٨٤٥هـ ، له كتاب الخطط في تاريخ مصر . انظر : مقال (المقريزي) ، اردو دائره معارف اسلاميه ، ٤٤٦/٢١- ٤٤٩ .

(٤) وهؤلاء المؤرخون قد ذكرهم الباحث لأمرين : (١) لأن كتاب المقريزي (الخطط) من المؤلفات التي أكثر المستشرقون من الاستشهاد بها عند حديثهم عن فتح مصر على عهد عمر رضي الله عنه ، (٢) حتى يعلم القراء أن المستشرقين كانوا على دراية بسلبيات المؤرخين المتأخرين ، ولكنهم رغم ذلك تربصوا بعهد التدوين الأول دون سواه .

(٥) هو : شهاب الدين أبو عبد الله الرومي ، ولد حوالي ٥٧٨هـ في بلاد الروم ، ثم قدم بغداد أسيراً فاشتراه عسكر بن إبراهيم الحموي فعلّمه في النظامية ، وترحل من بلاد إلى بلاد مع سيده بغرض التجارة ، وفي ٥٩٦هـ أعتقه سيده ، فبدأ يتاجر مستقلاً في الكتب ، أشهر مؤلفاته كتابان : معجم البلدان و إرشاد الأريب المعروف بمعجم الأدباء ، توفي في ٦٢٦هـ . انظر : إحسان إلهي رانا ، (ياقوت الحموي) ، اردو دائره معارف اسلاميه ، ٢٦٧/٢٢-٢٧٠ .

(٦) هو : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، ولد بالقاهرة عام ٨٣١هـ ، برع في العلوم الدينية والتاريخ وعلم الرجال ، انتقل عام ٨٧٠هـ إلى مكة المكرمة ودرّس في رحاب المسجد الحرام وكذا في المسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة والتي توفي فيها عام ٩٠٢هـ ، آثاره كثيرة في علوم الحديث والرحلات والتاريخ وعلم الرجال من أشهرها (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع) . انظر : عبد القيوم ، (السخاوي) ، اردو دائره معارف اسلاميه ، ٧٥٩/١٠-٧٦٢ .

(٧) معجم الأدباء ، ١٠٩/١٩-١١١ ، ولم يذكر ياقوت الصولي بأيّ مَذمّة ، بل نقل أبيات لأبي سعيد العقيلي في مدحه بكثرة العلم والفضل ؛ السخاوي ، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ملحقاً بعلم التاريخ للمستشرق روزنثال Rosenthal ، ترجمة : صالح العلي ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ط٢ : ١٩٨٣) ، ص٦٨٧،٦٨٢،٦١١،٥٤٩ ، فقد نسب السخاوي إلى المقريزي كلّ كتبه في هذه الصفحات ، وذكره بالفضل والإجلال في مواضع كثيرة .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المؤرخين المسلمين[١] ؛ يدلّ على عدم وقوف المستشرقين عموماً على حالات السرقة العلمية عند المؤرخين المسلمين ، مما يعني أن هذا الأمر - وإن وُجد عند بعض المؤرخين المسلمين أحياناً[٢] - فكان ذلك في نطاق ضيق جداً .

❖ **المجاملة والمبالغة وإخفاء بعض الحقائق :**

وقد حصر المستشرقون هذه الظاهرة في المؤلفات التاريخية الخاصة بحاكم أو أسرة حاكمة ، ولاسيما في تلك المؤلفات التي كان يتدخل السلطان والأمير في إعدادها والإشراف عليها[٣] ، ومصداق ذلك يمكننا أن نراه إذا استعرضنا وراجعنا كلّ ما كتب عن المؤرخين المسلمين في دائرة المعارف الإسلامية ، حيث لا نجد هذا الأسلوب متمثلاً سوى عند أولئك المؤرخين المسلمين الذين ألّفوا في الموضوع المشار إليه .

فنجد إخفاء الحقائق عند إبراهيم الصابئ[٤] ، في كتابه (التاجي) ،

،

وذلك نتيجة إشراف السلطان البويهي عضد الدولة[٥] على هذا التأليف وقيامه بحذف ما يحلو له من المؤلَّف[٦] ؛ كما نجد المجاملة والإطراء مع المبالغة فيهما في حق أهل فارس عند إدريس بدليسي[٧] الذي أمره أحد الخلفاء

---

(١) وقد ذكر روزنثال Rosenthal أن السرقة العلمية كانت معروفة عند المسلمين ، غير أنه لم يقدم دليلا لما قاله . انظر : مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي ، ص١٢٥ .

(٢) فقد سرق بعض معاصري السيوطي منه كتباً وادعوه لأنفسهم . انظر : مصطفى القسطنطيني الرومي ، كشف الظنون ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط : ١٤١٣ ، ٢١٧/١ .

(3) Encyclopaedia of Islam (first edition) : Gibb, Tarikh, IX/ 239.

(٤) هو : أبو إسحاق إبراهيم بن هلال بن إبراهيم الحرّاني الصابئ ، وهو غير مسلم على ديانة الصابئة ، ولد سنة ٣١٣هـ ، خدم بني بويه وتقلد أعمالا جليلة آخرها رئاسة ديوان الإنشاء التي قلدها إياه معزّ الدولة في ٣٤٩هـ ، كان حسن العِشرة مع المسلمين ، وكان شاعراً ، بارعاً في الطب والرياضيات ، نقم عليه عضد الدولة في ٣٦٧هـ فزُجّ به في السجن ، ولم يخرج منه إلا في ٣٧١هـ بعد وفاة عضد الدولة ، ومنذ ذلك ترك خدمة البويهيين وعاش في عزلة حتى وافته المنية في بغداد . انظر : معجم الأدباء ، ١٨١/٢- ٢٢٧ .

(٥) هو : أبو الشجاع فنّا خُسرو بن ركن الدولة ، ولد في أصفهان عام ٣٢٤هـ ، وفي ٣٥١هـ لقبه الخليفة العباسي المطيع لله بعضد الدولة ، وفي ٣٦٦هـ استطاع أن يدخل بغداد وظلّ فيها حتى توفي عام ٣٧٢هـ ودفن في نجف ، يعتبر أقوى حكام آل بويه فقد استطاع توحيد الأقطار التي استولى عليها ونشر الأمن فيها ، وأنشأ المستشفيات وأقام السدود . انظر : مقال (عضد الدولة) ، اردو دائره معارف اسلامية ، ٣٦٦/١٣- ٣٦٩ .

(6) Encyclopaedia of Islam (first edition) : Krenkow, Al-Sabi, VII/ 19.

(٧) هو : مولانا حكيم الدين إدريس بن مولانا حسام الدين ، من أصل كردي ، مؤرخ عثماني رسمي ، تقلد منصب (نشانجي) بالإضافة إلى التأريخ الرسمي ، اشتهر بمصنفه (هشت بهشت) أي : الجنات الثمانية ، ويقصد بها سِير ثمان سلاطين من آل عثمان ، توفي في ٩٢٦هـ في إستانبول . انظر : مقال (بدليسي) ، اردو دائره معارف إسلاميه ، ١٧٣/٤- ١٧٥ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

العثمانيين بتأليف تاريخ العثمانيين[١] ، غير أنّ الجدير بالملاحظة هو أنّ بدليسي لم يقم بمجاملة مَن كتب لهم التاريخ ، بل جامل خصومهم ، ولهذا كان عرضة للنقد والإهانة من الخليفة ؛ ونجد كذلك المجاملة والإطراء لحساب العثمانيين في مؤلَّف خوجه أفندي[٢] حول تاريخ آل عثمان[٣] .

ولقد اعتبر هملتون جب H. Gibb هذه المجاملات وعمليات إخفاء الحقائق منهجاً عاماً سائداً لدى المؤرخين الذين كتبوا عن سِير الملوك والحكّام أو عن الأُسر الحاكمة ، غير أنّه احترز من التعميم في الحُكم بقوله : (ولئن أمكن تبرئة مؤلّفي التواريخ الرسمية من الكذب المتعمّد أو من أكثر الأمراض شيوعاً ونعني به المداهنة وإخفاء الحقائق فإننا ...) وباستثنائه البعض من المؤرخين المسلمين من هذا المنهج من أمثال أبي الفضل البيهقي[٤] صاحب (تاريخ البيهقي)[٥] ، أما المستشرق روزنثال Rosenthal فقد ذهب إلى القول بأنّ التعصب المذهبي كان من أقوى الأسباب المؤدّية إلى إخفاء الحقائق ، بل إلى تزييف الحقائق أحياناً[٦] .

وفيما يتعلق الأمر بالنقطة الأخيرة وهي (**دعوى المستشرقين عدم صحة معلومات الفترة الأولى من التدوين التاريخي عند المسلمين**) ؛ فقد أشاد كثيرٌ من المستشرقين بصحّة المعلومات الواردة في معظم كُتُب التاريخ الإسلامي ، وخاصّةً

---

(1) Encyclopaedia of Islam (new edition) : Menage, Badlisi, I/ 1207–1208.

(٢) هو : سعد الدين بن حسن جان بن محمد الأصفهاني ، مؤرخ تركي رسمي ، تقلد منصب (شيخ الإسلام) ، ولد في ٩٤٣هـ في إستانبول ، اشتهر بكتابه (تاج التواريخ) عن السلاطين العثمانيين ، توفي في ١٠٠٨هـ . حاجي خليفة ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، بيروت : مكتبة المثنى ، ٢٦٩/١ .

(3) Encyclopaedia of Islam (first edition) : F. Babingar, Khodja Efendi, IV/ 962 .

(٤) هو : محمد بن حسين ، ولد في قرية بيهق بخراسان عام ٣٨٥هـ ، نشأ في نيسابور وتعلم علوم القرآن والحديث والحديث والآداب العربية ، وروى كثيراً من الأحاديث النبوية ، التحق بالعمل في ديوان الرسائل الغزنوية ، وارتقى إلى رئاسة الديوان في عهد السلطان عبد الرشيد الغزنوي ، وبعد أن زجّ به طغرل في السجن ثمّ أخرجه فرخ زاد منه عكف في بيته على القراءة والتأليف حتى توفي في ٤٧٠هـ . انظر : تاريخ البيهقي ، مقدمة المحقق ، ص٥-٦ .

(5) Encyclopaedia of Islam (first edition) : Tarikh, IX/ 239.

(٦) علم التاريخ عند المسلمين ، ص٩٢-٩٣ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فيما يتعلّق بالمواد التي هي من مشاهدات المؤرخ المسلم أو جمعه الخاصّ ، وقليلاً مّا وجّه المستشرقون نقدهم لبعض المؤرخين المسلمين في هذه الناحية .

ويلاحظ في هذا المقام أنّ إشادة المستشرقين بصحّة المعلومات التاريخية قاصرةٌ على مراحل الكتابة التاريخية لما بعد مرحلة المغازي والسيرة النبوية ، فمرحلة المغازي والسيرة النبوية - التي تمثّل بداية التدوين التاريخي عند المسلمين - لم ينظر معظم المستشرقين إلى موادّها التاريخية نظرة الرضا والقبول ، ولم يصفوها بالصحّة في أغلبها[١] ، حتّى أنّنا نجد مثل المستشرق هملتون جِبّ H. Gibb يميل أيضاً إلى آراء بعض زملائه القائلة بعدم صحّة بعض مواد هذه المرحلة - على الرغم من اعترافه بصحة معلومات هذه الفترة عموماً قُبَيل هذا الميل[٢] ، وقد أظهر المستشرق ليفي دالاّ Levi Della رأيه صريحاً بعدم صحّة معظم مواد مرحلة المغازي والسيرة[٣] مدعماً رأيه بآراء زملائه الذين سابقوه في المجال من أمثال المستشرق جولدزيهر Goldziher[٤] ، والأمير كايتاني Caetani[٥] ، والأب لامنس Lammens[٦] ، وإذ ليس الباحث هنا

---

(١) حتى المستشرق روزنثال Rosenthal لم يسلم من هذا القول على الرغم من محاسنه الكثيرة . انظر : علم التاريخ عند المسلمين ، ص٩٠ .

(2) Encyclopaedia of Islam (first edition), Tarikh, IX/ 235 .

(3) **Ibid,** Sira, VII 440 .

(٤) هو أجْنَس جولْدْزِيهَر .Ignaz G ، مستشرق مجري ، ولد في ١٨٥٠م في أسرة يهودية ذات مكانة مرموقة ، حصل على درجة الدكتوراه في التاريخ اليهودي عام ١٨٧٠م من جامعة لايبزيك Leipziq بألمانيا ، انتقل إلى سوريا عام ١٨٧٣م ومنها إلى فلسطين فمِصر حيث مكث فترة يتعلّم العربية في الأزهر ، وفي عام ١٨٩٤م عُين أستاذاً للغات السامية في جامعة بودابست Budapest ، وظلّ كذلك حتى وافته المنية في ١٩٢٠م ، من مؤلّفاته الشهيرة عن الإسلام : دراسات محمدية ، والعقيدة والشريعة في الإسلام . المستشرقون ، ٣/٤٠- ٤٢

(٥) هو : ليوني كيتاني .Leone C ، مستشرق إيطالي مشهور ولد في روما Roma في ١٨٦٩ وتخرج في جامعتها وتعلم وتعلم سبع لغات منها العربية والفارسية ، تقلد سفارة بلاده في واشنطن Washington ، زار الهند وإيران ومصر وبلاد الشام، ألّف حوليات الإسلام Annali dell' Islam في عشر مجلدات ضخمة يعتمد عليه الكثيرون في أبحاثهم حول الإسلام واهتم بالتاريخ الإسلامي عموماً ، ومات عام ١٩٣٥ . المستشرقون ، ١/٤٢٩- ٤٣٠ .

(٦) هو هنري لامِنس .Henri L ، مستشرق بلجيكي ولد في خِنْت Gent ببلجيكا Belgique في ١٨٦٢م ، وهاجر وهاجر إلى بيروت في صباه وتعلّم في كلية القدّيس يوسف اليسوعية ،وأصبح راهباً في ١٨٧٨م، عُين معلّماً في الكلية نفسها في ١٨٨٦م ، وفي ١٩٢٧م وكلت إليه إدارة مجلة (المشرق) الصادرة عن اليسوعيين من بيروت ، كما سافر إلى بعض العواصم الأوربية مرة ليدرّس في جامعاتها ، وتوفي في بيروت في ١٩٣٧م . المستشرقون ، ٣/٢٩٣- ٢٩٦ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

لمناقشة خطأ هذه الآراء وعدم استنادها إلى أيّ مستندٍ علميٍّ[١] ؛ يصرف الاهتمام إلى أمرٍ منهجيٍ هام هو : وقوع المستشرقين عموماً في تناقض منهجي كبير عندما سلّموا بصحّة معظم المعلومات التاريخية المتأخرة في كُتب التاريخ الإسلامي ، وتردّدوا في التسليم بصحة معظم المعلومات التاريخية الواردة في المغازي والسيرة ، فما سِرّ هذا الموقف المتناقض ؟ إنّ المستشرقين لم يُبدُوا أيّ تفسيرٍ أو تعليلٍ لهذا التفريق ، وكلّما يمكن ملاحظته من خلال كتاباتهم هو نقدهم لمرحلة المغازي والسيرة لكون جُلّ معلوماتها - حسب رأي المستشرقين - تستند إلى الروايات الشفهية المذكورة بأسانيدها ، فنقدوا السَّنَد ، واتهموه بأنه منحول ، وذلك لإسقاط الروايات ، فإذا كان المستشرقون يرَون بأنّ السيرة المطهرة والأحاديث الشريفة قد تمّ نقلها شفهياً منذ عهد الصحابة والتابعين ، وأنّ هذا النقل الشفهي كان مدعوماً بالإسناد ؛ فماذا بقي إذن للدلالة على صحّة المنقول بالاعتماد على صحّة الناقل ؟

فهل اعتراض المستشرقين على عملية النقل الشفهي ؟

أم اعتراضهم على إسناد النقل إلى المنقول عنهم ؟

أم اعتراضهم على الناقل نفسه ؟

وبالطبع يبدو للباحث أنّه لا يمكن للمستشرقين الاعتراض على عملية النقل الشفهي ، لأنّ جميع معارف الكتاب المقدّس منقولة نقلاً شفهياً في مدةٍ تقارب ألف عام بعد نزول التوراة ، وليس هناك أيّ دليلٍ على أنّ الكتاب المقدس منقولٌ منذ بدايته كتابياً[٢] ، فهل يمكن للمستشرقين عموماً الإنكار بالكتاب المقدس !! كما لا يمكن للمستشرقين الاعتراض على مبدأ الإسناد ،

---

(١) فقد ردّ المسلمون على هذه الآراء بردودٍ مفحمةٍ ، انظر مثلاً : محمد الخولي ، تعليقه على مادة (السيرة) في الترجم العربية لدائرة المعارف الإسلامية ، القاهرة : دار الشعب ، ط : ١٩٣٣-١٩٩٠ ، ١٢/٤٥٥-٤٥٨ ؛ محمد مصطفى الأعظمي ، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه ، الرياض : جامعة الملك سعود ، ط١ : ١٤٠٢ ، ص٧١-٣٨٠ ، ٤٣٩-٦٠٠ .

(٢) محمد خليفة حسن ، (محاضرة في مادة : الدراسات اللغوية عند المستشرقين) ، المدينة المنورة : كلية الدعوة (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) ، قسم الاستشراق ، السنة المنهجية الأولى ، ١٤١٣/٧/١١هـ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

لأنّه الطريقة العلمية لنقل المعلومات وأساس الأمانة في منهج البحث العلمي ، والكتاب المقدس وجميع معارف الأمم قبل الإسلام محرومة من نعمة الإسناد المتصل[١] ، فهل يمكن الإنكار بها لهذا السبب ؟ إذن يمكن أن يحمل اعتراض المستشرقين على أنّه اعتراضٌ على الناقل فقط ، فالناقل - في نظر المستشرقين - حرّف في النقل الشفهي[٢] ، والناقل - في نظرهم - خَلَق الإسناد الذي لم يكن موجوداً[٣] .

وهنا يتساءل الباحث :

هل لدى المستشرقين ما يثبت عدم أهلية الناقل ؟

وهل لديهم أداةٌ أو وسيلة عِلمية للحكم على الناقل ؟

وإذا كان ما يمكن به الحكم على الناقل هو أولاً (علم الجرح والتعديل) - وهو علم إسلامي خالص - ، وثانياً قرائن تاريخية مدونة بأيدٍ مسلمةٍ في التاريخ الإسلامي - والتي يُعتمد عليها في ما يُسمّى بالنقد الداخلي - ؛ فكيف يحكم المستشرقون بغير هذه الخيارات بعد أربعة عشر قرناً ؟؟

ثمّ كيف يطعن المستشرقون في السيرة ولا يطعنون في التاريخ الإسلامي ، وبعبارة أخرى : كيف يرضَون بأمانة الناقل في الروايات التاريخية المتأخرة ، ولا يرضَون بأمانة الناقل في الروايات التاريخية المتعلقة بالسيرة النبوية ؟ ، فأيّ معيار عِلميّ يعتمد عليه أساتذة الغرب في هذا التفريق !

رابعاً : التوثيق العلمي : ذكر المستشرقون أمرَين في هذا المجال ، أحدهما هو الجانب الآخر لمنهجٍ تمّ ذكره في الفصل السابق ألا وهو (منهج التزام عامة المؤرخين المسلمين بذكر مصادر معلوماتهم) ، فسجّل بعض

---

(١) انظر : السيوطي ، تدريب الراوي ، تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف ، القاهرة : دار الكتب الحديثة ، ط٢ : ١٩٦٦، ٢/١٥٩-١٦٠ ؛ أحمد شاكر ، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط١ : ١٩٨٣ ، ص١٥٤ ، وذلك لمعرفة حرمان الأمم السابقة على الإسلام من مبدأ الإسناد المتصل .

(٢) انظر عبارة المستشرق ليفي دالا : (أدى توقير المسلمين المطرد لشخص النبي إلى نموّ أسطورة حول شخصيته ... واجتمع حول هذه الأسطورة إلى جانب الروايات التاريخية التي يتفاوت حظها من التحريف قصصٌ ...) Encyclopaedia of Islam (first edition), Sira, VII/ 441.

(٣) انظر نقل صاحب المقال لعبارة المستشرق نولديكه Noldeke : (... السيرة في مواضع كثيرة تناى نأياً بعيداً عن تمثيل الرواية الصحيحة ، وإنما هي تصور ... أحوالاً وقعت في تاريخ متأخر كثيراً عن الحوادث التي تروي نبأها ، وتقرن ذلك بأسانيد تاريخية تثبت بها ما تقول ...) Sira, VII/ 440 .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المستشرقين حالاتٍ لدى بعض المؤرخين خرجوا فيها عن المنهج العام بعدم ذكر مصادر معلوماتهم في حالاتٍ مخصوصةٍ ، وبالنظر الدقيق الفاحص إلى هذه الحالات تبيّن للباحث أنّ هؤلاء المؤرخين لم يلتزموا بمبدأ أو منهج ذكر المصادر في أجزاء من مؤلّفاتهم ، بينما التزموا به في غير هذه الأجزاء .

فقد عدّد كاتب مقال (اليعقوبي) بعض مصادر اليعقوبي ، ثمّ عقّب بقوله : (إنّه نادراً ما يحيل إلى مصادر معلوماته ...)[١] ، والحقيقة أنّ اليعقوبي يذكر مصادر معلوماته أحياناً ويكتم ذكرها أحياناً أخرى ، وغالباً ما يكون ذلك عند حديثه عن الأمم القديمة ، تماماً كما كان يفعله مؤرخ مسلم آخر هو الجبرتي[٢] ، وقد تنبّه إلى هذا المنهج المستشرق أيالون Ayalon[٣] كاتب مقال الجبرتي)[٤] ، وأحياناً كان المؤرخون المسلمون يذكرون مصادر معلوماتهم إجمالاً ، وليس على صورة مفصّلةٍ ممّا أوهم أنهم لم يذكروا مصادرهم البتة[٥] .

وفي مادة (الأنطاكي) أشاد المستشرق كانارد Canard[٦] بالمؤرخ وقال : (وعند تأليف كتابه في التاريخ لم تقتصر استفادته على المصادر الإسلامية فحسب ، بل استعان بتلك الكتب اليونانية والنصرانية المحلية التي تعرّف عليها في إنطاكيا[٧] ...) ، ثمّ قال بعد قليل : (إنّه لمن العسير التثبّت من أمر المصادر التي استعملها الإنطاكي ، لأنّه لم يكن يذكرها ...)[٨] ، فيبدو أنّ المستشرق

---

(1) Encyclopaedia of Islam (first edition) : Brockilmann, Al-Yakubi, VIII/ 1153.

(٢) هو : عبد الرحمن بن حسن الجبرتي المصري ، ولد في ١١٦٧هـ ، اشتهر بكتابه (عجائب الآثار في التراجم والأخبار) ، توفي في ١٨٢٥م . انظر : مقال (الجبرتي) ، اردو دائره معارف اسلاميه ، ٩٦/٧- ١٠٠ .

(٣) هو : دايفيد أيالون .Daved A ، مستشرق اهتم بالتاريخ الإسلامي عموماً وبالدراسات العثمانية على وجه الخصوص ، له عدة مشاركات في دائرة المعارف الإسلامية في طبعتيها .

(4) Encyclopaedia of Islam (new edition), Ayalon, Al-Djabarti, II/ 355.

(5) Encyclopaedia of Islam, Hardy, Firishta, II/ 922 ; & **Ibid** (first edition), Barthold, Gardizi, III/ 130.

فالمؤرخ فرشتة وكرديزي كانا يذكران مصادرهما في بداية كتابهما إجمالاً .

(٦) هو : مستشرق فرنسي ولد في عام ١٨٨٨م ، وكان أستاذاً في كلية الآداب بالجزائر - أيام إعداد العقيقي كتابه (المستشرقون) - ، عُني بدراسة تاريخ سيف الدولة الحمداني (٣٠٣- ٣٥٦هـ) ، واهتمّ كذلك بالعلاقات الإسلامية البيزنطية . انظر : المستشرقون ، ٢٨١/١- ٢٨٤ .

(٧) هي : مدينة قديمة تقع على نهر العاصي قريبة من حدود تركيا شمال غرب سورية - حالياً - ، أنشأها القائد البيزنطي سلوكيس الأول Seleucus I عام ٣٠٠م ، واتخذها الرومان عاصمتهم الشرقية ممّا جعلها عُرضةً للهجمات الفارسية طوال عهود ارتقاء الفرس ، فتحت في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه عام ١٥هـ ، ثمّ احتلها الصليبيون في ٤٩١هـ وأقاموا فيها إمارتهم الصليبية حتى استردّها الظاهر بيبرس في ٦٦٦هـ . انظر : مقال (أنطاكية) ، اردو دائره معارف اسلاميه ، ٤٣٤/٣-٤٣٦ .

(8) Encyclopaedia of Islam (new edition) : Al-Antaki, I/ 516.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المستشرق يقصد من جملته الأخيرة أنّ الإنطاكي[١] لم ينسب كلّ معلومة إلى مصدرها بدقة مع ذِكره لمصادر معلوماته بشكل عام ، وهكذا يصل بنا المقام إلى نهاية الحديث عن (آراء المستشرقين حول منهج المؤرخين المسلمين ومدى التزامهم به ، وقد حاول الباحث جاهداً أن يعكس الصورة التي رسمها المستشرقون بصدد هذا الأمر في كتاباتهم كما هي ، وناقش الآراء التي رأى أنّ الضرورة تدعو إليها.

خاتمة البحث :

تبيّن من الدراسة السابقة أن المستشرقين لم يدرسوا الشخصيات البارزة من التاريخ الإسلامي أو الأحداث التاريخية الإسلامية الهامة فحسب ؛ بل درسوا - بالإضافة إلى كل ذلك - نشوء وارتقاء فنّ التأريخ عند المسلمين دراسةً وافيةً ، ودرسوا كذلك مصادر التاريخ الإسلامي من جوانب كثيرة والتي من أبرزها الجانب المنهجي لهذه المؤلَّفات التاريخية ، وقد تتبّع هذا البحث كلّ هذه الجهود الاستشراقية داخل دائرة المعارف الإسلامية التي تعدّ خلاصة جهود المستشرقين وخارجها أيضاً ، وذلك لأنّ القصد من هذا التتبّع هو إبراز منهجية المؤرخين المسلمين في جهودهم التأريخية ، والتي رصدها هؤلاء المستشرقون في ثنايا كتاباتهم الكثيرة ، وقد أظهر هذا التتبّع أن المنهج الذي سار عليه عامة المؤرخين المسلمين منذ عصور الإسلام المبكرة جداً ؛ كان منهجاً علمياً وفق قواعد وضوابط منهج البحث العلمي الحديث .ولا تعني الإفادة من كتابات المستشرقين هذه إعلاء شأنهم بغض النظر عن سلبياتهم ؛ ولكنّ هذه الإفادة - بالإضافة إلى كونها ضرورة علمية - خير تمثيل للمقولة الشهيرة (والفضل ما شهدت به الأعداء)[٢] ، لأن القوم وإن قاموا بهذه الأعمال التي عجز كثيرٌ من المسلمين القيام بها ؛ إلاّ أنّهم لم يستطيعوا التحرّر من مناهج استشراقية متأصلة تحكم كتابات المستشرقين

---

(١) هو : يحيى بن سعيد بن يحيى ، مؤرخ وطبيب نصراني ، ولد عام ٣٧٠هـ في الاسكندرية ثم هاجر إلى أنطاكية واستقر بها حتى وفاته عام ٤٥٨هـ . انظر : مقال (الإنطاكي) ، اردو دائره معارف اسلاميه ، ٤٣٣/٣ .

(٢) هذه المقولة لم أعثر على اسم قائلها ، غير أنها شطر من بيت يروى على وجوه منها :

١- شهد الأنام بفضله حتى العِدا والفضل ما شهدت به الأعداء

٢- ومليحةٌ شهـــدت لها ضُـرّاتها والفضل ما شهدت به الأعداء

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

مهما تباينت موضوعاتها ومهما اختلفت اهتماماتها ، وفوق هذا وذاك ؛ يهدف البحث إلى إبراز تناقض منهجي كبير عند عموم المستشرقين ، ألا وهو عدم إقرار المنشغلين منهم بدراسة التاريخ الإسلامي والسيرة النبوية المطهرة بوجود ما يمكن تسميته بالمنهجية الإسلامية في البحث التاريخي - ولاسيما في الفترة الأولى من التدوين التاريخي عندهم - وذلك من جهة ، ومن جهة أخرى إقرار معظم المستشرقين الذين عرّفوا بالمؤرخين المسلمين في ثنايا دائرة المعارف الإسلامية بأنّ هؤلاء كانت لهم مناهج معروفة في مؤلّفاتهم التاريخية .

وفيما يلي ذِكرٌ لبعض المناهج الاستشراقية التي هي بمثابة الخلفية الأولى التي ترسّمت عليها الدراسات الاستشراقية اللاحقة والتي لم يستطع المستشرقون المنشغلون بالكتابة عن التاريخ الإسلامي في دائرة المعارف الإسلامية وغيرها التحرّر منها ، سواءً ما كان منها متعلّقاً بالناحية التاريخية أم ما كان متعلّقاً بغير هذه الناحية :

١- الانطلاق من الشكّ في كلّ ما يتعلّق بالإسلام وتاريخه .

انطلق معظم المستشرقين في دراساتهم التاريخية عن الإسلام من الشكّ فيه وفي شعائره ورسوله وأهم شخصياته شكّاً لا يبرّره أي دليل ولا يعتمد على أي مستند علميّ ، وقد رأينا ذلك في تشكيك المستشرقين في التدوين التاريخي في مرحلته الأولى من حيث المنهج ومن حيث قيمة المادة التاريخية لهذه المرحلة .

٢- التقليل من شأن الإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم وأبرز شخصياته .

وقد أدّى إيمان المستشرقين بهذا الشكّ في الإسلام وشعائره ورجاله إلى تعميق إحساسهم هذا بوسائل هشّة في محاولة إفقاد هذا الدين وتاريخه المجيد وزنه وقيمته ، ومن هذه الوسائل ما يلي :

(أ) إنكار القيمة العلمية لمبدأ الإسناد عند المسلمين بغير أي دليل معتبر .

وقد رأينا ذلك فيما سبق .

(ب) رفع شأن الأمر الأقل أهمية في مقابل الأمر الأهمّ .

كما فعلوا فيما يتعلق بالأخبار التاريخية في الفترة ما بعد المرحلة الأولى من التدوين التاريخي عند المسلمين عندما وثّق المستشرقون أخباراً وردت في مصادر

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ضعيفة من أجل تقليل شأن الأخبار التي تتناول سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين .

(ج) تجاهل ذكر مآثر المسلمين الإبداعية .

وذلك في محاولة إنكار القدرة الإبداعية للمسلمين في ميادين علمية متعددة ، ومثال ذلك فيما تمّ ذكره هو تجاهل المستشرقين لذكر منهج النقد عند المحدّثين الذي كان له الفضل الأكبر في ظهور المنهجية العلمية في التأريخ عند المسلمين .

وقد أدّى هذا التجاهل إلى وقوع المستشرقين في تناقضٍ منهجي كبير عندما نفَوا عن المصادر التاريخية الإسلامية منهجية علمية واضحة المعالم من جهة ؛ ولكنّهم من جهةٍ أخرى عدّدوا مزايا هذه المصادر في كتاباتٍ أخرى لا يخفى على مَن له أدنى إلمام بالمنهجية العلمية أنّ تلك المزايا تتمتع بطابع المنهجية العلمية التي توصلت إليها الدراسات المعاصرة ، وقد رأينا ذلك خلال عروضنا خلال هذا البحث .

٣- إنكار الأثر الإيجابي للحضارة الإسلامية على الحضارة الغربية .

وذلك حين أنكر معظم المستشرقين أي فضلٍ للمنهجية الإسلامية في التأريخ - المنبثقة عن منهج النقد للمحدّثين - على منهج النقد التاريخي الحديث ، على الرغم من ثبوت تأثر المستشرقين بهذه المنهجية الإسلامية في كتاباتهم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه على أقل تقدير[1] ، وإذا كان المستشرق روزنثال Rosenthal يعترف - على خجل - ببعض الفضل للعلوم الإسلامية بشكل عام على الكتابة التاريخية في الغرب الحديث ؛ فإنّه لا يصرّح بفضل منهج النقد عند المحدّثين[2] .

وختاماً أسأل الله أن ينفع بهذه الدراسة عموم المسلمين ، وأن تكون داعيةً للمستشرقين وغيرهم إلى تلمّس محاسن الإسلام والمسلمين ،

والحمد لله رب العالمين .

---

(١) وقد أثبت الباحث ذلك في أطروحة الدكتوراه له .

(٢) علم التاريخ عند المسلمين ، ص٢٧٠- ٢٧٢ . كما أنكر روزنثال Rosenthal أن يكون للعلماء المسلمين معايير ثابتة لقبول الأخبار أو رفضها ، متجاهلاً منهج النقد عند المحدّثين ومعاييره الذهبية في التمحيص . انظر : مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي ، ص١٦٠ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة